حسني محمود جاد الكريم

رسالة المرأة
بين
منهج الإسلام وإسقاطات العلمانية

دراسة نقدية لكتاب خلف الحجاب



الطبعة الأولى

١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠

دار الصحوة للنشر والتوزيع بالقاهرة

الإدارة : ٧ ش السراى ـ أول المنيل ـ ت : ٩٨٧٩٢٤

المخازن : حدائق حلوان بجوار عمارات المهندسين ـ ت : ٦٨٨٠٧١

" بسم الله الرحمن الرحيم "

تقديم :

التبعية والغربة ، أوتارأساسية فى عقل المسلم المعاصر ،أو هى المفاتيح الأصلية لمخططات صليبية لا نزال نعمل على تنفيذها دون وعى منا .....

وقد أطلقت منذ خمس سنوات فى كتاب " الذات المسلمة " شعاراً " تحرير العقل المسلم " رقلت :

" إنها قضية حيوية لنا ، قضية نكون أولا نكون " ..

ولكن بين إطلاق الشعار وبين الوعى بحقيقة المشكلة كم هائل من الكتابات التى عنى بها المستشرقون ، لتكوين جماعات كثيرة من العقول التى تربت وتخرجت على أيديهم ، لتتابع رسالتهم ومنهجهم الذى يعمل فى دأب على إفساد العقول المسلمة ، لتطعن فى الإسلام وتشكك فى عقائدها وقيمها الدينية والأخلاقية ....

ووفق هذا المنهج .. كانت المرأة .... أحد هذه الروافد الأساسية التى عنى الإستشراق ، إلى طرح مشكلتها من زاوية التشكيك فى شريعتها وفى سلوكياتها الأساسية . واضعاً المرأة الغربية كنموذج مبهر لها ، بالرغم من الفروق الهائلة بين المرأة المسلمة بعقيدتها ورصيدها الفكرى والإجتماعى والدينى ، وبين المرأة الغربية بتقاليدها وتاريخها القائم على العبودية والإمتهان ، حتى أصبحت قضية " تحرير

المرأة " قضية عامة ، ترتبط بحركة عالمية تجمع بين عابدة البقرة والشيوعية الملحدة ....

ولقد نجح الاستشراق - فى فرض تلك الإشكاليات من التصور على تلك النخبة التى سارت على نهجه إلى درجة إيجاد ركائز معبرة ومتبنية لقضاياه ، ومبلورة للإحتواء الثقافى الذى عمل الاستشراق على تكوينه ...

وكتاب من " خلف الحجاب " (١) ثمرة حقيقية فى إبراز النوايا ، وكشف نوعية التفكير لهذه النخبة التى أسقطت من حساباتها ، الظروف الإجتماعية والفكرية التى كفلها لها الإسلام فى التعليم والدراسه وإختيار الزوج ...إلخ ... وراحت تلصق كل هذه التراكمات بالإسلام ، وتبتدع مصطلحات جديدة ... كالتقدمية والرجعية ، وكأن الإسلام هوالعدو الأوحد للمرأة وحقوقها ...وأن الوسيلة الوحيدة للتحرر والتقدم .... هو إلقاء هذا الدين عن كواهل المرأة لتأخذ كما أكثر من الحياة . . . وتناست الكاتبة مقولة " ديستويفسكى" الشهيرة " أن لم يكن الله موجوداً فكل شيء مباح "......

وتناست قول الله تعالى " وإذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون "(٢) ..

١- سناء المصرى ، القاهرة ، ١٩٨٨ - سيناء للنشر .

٢- الآية ١٢ من سورة البقرة .

ومما لا شك فيه ، أن كتاب " خلف الحجاب " يقذف به إلى الساحة الفكرية فى وقت تقف فيه المرأة المسلمة وقفة واعية إزاء حملات التشكيك والإثارة التى تعربد وتتواجد فى دائرة الإعلام والفكر الشيطانى الذى يرفض الانزواء والهزيمة ، إنما يتابع معركته الأزلية كما أخبرنا الحق تعالى فى كتابه الكريم :

" قال رب بما أغويتنى لأزينن لهم فى الأرض ولأغوينهم أجمعين "(٣) ولأضلنهم ولأمنينهم ولآمرنهم فليبتكن ءاذان الأنعام ولأمرنهم فليغيرن خلق الله"

"ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا " .(٤)

ذلك هو مخططه الأزلى ، مخطط التعتيم والتشويه والجرأة على دين الله تحت راية حرية الفكر وحرية الرأى .

وأخيرا ... فإن الرد على هذا الكتاب ، لم يكن فى حسبانى ، غير أننى وجدت أن الكلمة الصادقة التى تقول الحق لابد لها أن تتواجد فى الساحة ، وأن تواجه هذه العمالة الشيطانية التى كثفت حملاتها المسعورة فى الآونة الأخيرة ، وكشفت عن وجهها السافر بالتحدى والحماية ... لشيطان الغرب ـ سليمان رشدى وهذه الدمى التى يحركها الغرب ، ويطلقونها بعد برمجتها لدليل واضح ـ على أن المعركة الصليبية لا تزال تعلن عن نفسها ، سواء بإسباغ الحماية على

٣- الآية : ٣٩ من سورة الحجر .

٤- الآية : ١١٩ من سورة النساء .

هذه الدمى الإسلامية ، أو بإيجاد دمى جديدة وبرمجتها لتتفق ومخططاتهم الشيطانية ....

والحمد لله الذى جعل فى العالم الإسلامى ، عيونا يقظة ترقب تحركاتهم ، وترد على ادعاءاتهم ، وتجعل كل مسلم على وعى بهذه الأساليب الشيطانية ، والتى يدخل ضمنها هذه الأسماء الإسلامية .

فنحن نعرف مَنْ يكون وراءهم من شياطين الغرب ، ونعرف مَنْ يضع لهم المذاهب والمناهج التى تصبح أسلحة شيطانية فى أيدى تلك الدمى المبرمجة ......

وأدعو الله أن يعيننى ، ويوفقنى فى الرد على بعض لا كل تلك الأكاذيب والادعاءات ، فالهدف من هذا الكتيب ، ليس فضح زيف تلك الادعاءات بقدر ما هو فضح للمنهج ، وكشف هذا المخطط الشيطانى الذى ينهش فى هذا الدين ....

" أولئك حزب الشيطان ، ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون " (٥)

" قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد " (٦)

" والله غالب على أمره ، ولكن أكثر الناس لايعلمون " (٧)

(صدق الله العظيم)

حسنى محمود جاد الكريم

(٥) جزء من الآية : ٩ من سورة المجادلة .
(٦) جزء من الآية : ٢١ من سورة يوسف .
(٧) الآية ١٢ من سورة آل عمران

الفصل الأول

نظرات فى المنهج

هناك حقد دفين لأعداء الإسلام ، فما يرون أى بادرة للإستجابة لدين الله ، حتى تنفجر هذه الأحقاد وتتبلور فى كتابات شيطانية ، تتظاهر بالبراءة والتقدمية والتحررية والإصلاحية ، وبالنظرة الفاحصة التى تجمع الوقائع المبعثرة والجزئية ، تتضح حقيقة دعواهم ، ككتلة هلامية محدودة الجوانب ، شائهة المعانى ، تتلون بألوان كثيرة لا للدلالة على عمق وسعة المعركة ، بل بسبب جرأتهم فى تمويه الحقائق وتفريغ الحياة من كل قيمة أخلاقية أو روحية ....

وكتاب " خلف الحجاب " من هذه الكتابات الحاقدة الصارخة ، والتى تدل على أن المؤلفة قد أنستها حميتها الجاهلية الحديثة مقدسات دينها فراحت تبرز الباطل فى صورة الحق ، وتهاجم بعنف وشراسة علماء الإسلام وتسخر من الأحاديث النبوية ، والصحابة رضوان الله عليهم. والكتاب كان يمكن تجاهله ونبذه، والاكتفاء بالوعى الإسلامى الذى أخذ والحمد لله يفرض وجوده على مساحات واسعة من العقول المستنيرة التى استبان لها الحق فلم تتوان عن التطبيق الفعلى لمقتضيات الإسلام وفروضه التى أوجبها الخالق سبحانه وتعالى ، وربما يكون هذا التطبيق والانتشار هو الذى أثار جنون الكاتبة فاستلهمت من الشيطان أفكاره ....

أقول كان من الممكن تجاهل هذا الكتاب ، ولكن كما يقول الدكتور " كامل سعفان " فى هذا النوع من الكتابات وخطورة

سكوت عليها ، لأنها لا تفضح زيفها وإنتماءها إلى الفكر الإلحادى الذى يرى أن الروح العلمية الجادة لا تزال فى معركتها الطويلة ضد العقلية الدينية المتخلفة ، بل لأنها تعمل " فى إطار سياسى مرسوم ، يقصد به التشكيك والبلبلة الفكرية ، وصولاً إلى تمزيق الوحدات الإجتماعية ، إلى الشعور بالاغتراب ، إلى الجفاف الروحى ، إلى الفكر المادى " (١).

الإستراتيجية الإستشراقية - أبعادها وأهدافها:....

يقول جان بول سارتر فى مقدمة صدر بها كتاب فرانس فانون " معذبون الأرض " مشيراً إلى صناعة المفكر الشرقى فى الغرب ، ومجال إستخدامه:" كنا نحضر رؤساء القبائل وأولاد الأشراف والأثرياء من أفريقا وأسياونطوف بهم بضعة أيام فى أمستردام ولندن والنرويج وبلجيكا وباريس فتتغير ملابسهم ويلتقطون بعض أنماط العلاقات الإجتماعية الجديدة ويتعلمون منا طريقة جديدةفى الرواح والغدو ، ويتعلمون لغتنا وأساليب رقصناوركوب عرباتنا وكنا ندبر لبعضهم أحياناً زيجات أوروبية ، ثم نلقنهم أسلوب الحياة الغربية كنا نضع فى أعماق قلوبهم الرغبة فى أوروبا ثم نرسلهم إلى بلادهم وأى بلاد ؟ بلاد من كانت أبوابهم مغلقة دائماً فى وجوهنا ولم نكن نجد منفذاً إليها ، كنا بالنسبة إليها رجساً ونجساً ولكن منذ أن أرسلنا المفكرين الذين صنعناهم إلى بلادهم كنا نصيح من أمستردام أو باريس أوبرلين "

١- الذين يلحدون فى آيات الله ـ د. كامل سعفان ـ ص ٧ .

الإخاء البشرى " فيرتد رجع أصواتنا من أقاصى أفريقيا أو الشرق الأوسط أو شمالى أفريقيا : كنا نقول ليحل المذهب الإنسانى أو دين الإنسانية محل الأديان المختلفة ، وكانوا يرددون أصواتنا هذه من أفواههم ، وحين نصمت يصمتون ، إلا أننا كنا واثقين من أن هؤلاء المفكرين لايملكون كلمة واحدة يقـــولونها غير ما وضـــعنا فى أفواههم " (١) .

ولقد نجحت هذه الإستراتيجية بشكل مذهل فى إستقطاب ركائز الرموز الثقافية للعالم الإسلامى ، حتى أصبح لهذا التيار قوته ، ليست المتمثلة فى المواقع الثقافية المتشعبة فى أوجه الحياة وروافدها الفكرية ، بل تعدت إلى أصحاب السلطة ووسائل الإعلام حتى أصبحا يمثلان نسقاً خطيراً ومؤثراً فى ترويج التبعية والإنسلاخ عن الذاتية الإسلامية .

وهذا النسق الثنائى ، يستخدم نفس التكتيك الغربى الذى إستقاه من ينابيعه والذى يقوم على " السلطة - والحرية "...

فالسلطة هى الأرضية الرحبة التى تنتظم فيها كل معطيات اللعبة ....

فحين يطلق المفكر العلمانى مصطلح " الحرية " تفتح له السلطة على الفور بوابات الدهاليز المعتمة ، لتخرج الأوراق السرية التى تحمل الإدانة للمقدسات والعقائد ، وتكال الإتهامات ، بأنها من عوامل

١- مجلة الأمة العدد الخمسون ـ صناعة الفكر المستغرب ـ المحرر ص١ .

التخلف والسلبية والرجعية والهمجية ......

ولو طالعنا هذا الفكر من مختلف الإتجاهات " العلمانية - المادية - والماركسية - والوضعية لسوف نصاب بالإحباط النفسى ، والتبلبل العقلى ، فما معنى تلك الشعارات ونحن كل يوم نعود أكثر تخلفاً وتبعية ، وما معنى التبشير بالنظريات الوضعية الجدلية وهى لم تثمر إلا العجز والتهافت على كوننا أمة من الببغاء" لا نقول كما يعبر "سارتر " غير ما وضعناه فى أفواههم " ....

فماذا تعنى كلمات " طه حسين " فى كتابه " مستقبل الثقافة فى مصر" " أن العقل المصرى منذ عصوره الأولى عقل إن تأثر بشىء فإنما يتأثر بالبحر الأبيض المتوسط ، وإن تبادل المنافع على إختلافها فإنما يتبادلها مع شعوب البحر الأبيض المتوسط ." (١)

مجرد كلام ذى بريق لا يحمل دلالة ذات قيمة ، فهو يريد أن يجرد مصر من قيمها الروحية والتاريخية ، ولكن هذه الكتابات تحمل روح التأكيد لإنتصار الإستراتيجية الإستشراقية التى إستطاعت أن تلغى العقول ، وتوجه البصائر إلى رؤية وهمية ليست فيها غير وجه ومنطق الفيلسوف والمفكر والمخطط الغربى ......

والهدف من هذا كله - واضح فهى ليست علاقة الأنداد فالند لا يستلب مقومات الذاتية للند الآخر ولا يتحكم فى رؤيته للحياة والوجود وإنما هى علاقة التابع الذى يسير فى ركاب السيد ، دون الخروج من

١- طه حسين ـ الجريمة والإدانة ـ جابر رزق ص٣٢ .

الذى يتعرض للعلاقة بين الإنسان وربه . " تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى الله وكل ما ورد فى بالك فالله بخلاف ذلك ." (١)

" يقول :توجد عدة اعتراضات على هذا الموقف :-

أولاً :- هل بإمكانى أن أقيم علاقة جدية بينى وبين هذا الإله الذى تتجاوز طبيعته تجاوزاً مطلقاً منطقى ومشاعرى وأفكارى ومثلى وآمالى ..

ثانياً :- هل بإمكانى أن أجد عزاء فى إله جل ما أعرفه عنه هو أنه مهما خطر فى بالى من أفكار وصفات فهو يختلف عنها اختلافاً مطلقاً ...

إن وجود مثل هذا الإله وعدم وجوده سيان بالنسبة إلى . إن هذ الإله ليس إلا تجريداً فارغاً من كل معنى ومحتوى " (٢)

هذه التساؤلات .. ماذا تعنى .. غير رفضه إجمالاً لله سبحانه وتعالى ، وهذا التصور لم ينبثق من ذهن بشرى وضعى حتى يمكن الاعتراض عليه وإدانته ، وإنما هو منزل " قرآناً " عن الله سبحانه وتعالى بقوله :

" قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفواً أحد " (٣) والعقل المسلم لا يملك غير الحيرة عن مصدرية هذا

١- اللذين يلحدون فى آيات الله ـ د. كامل سعفان ـ ص ٢٦ .

٢- نفس المصدر السابق ص ٢٦ .

٣- سورة الإخلاص .

الاستقاء النفسى والعقلى الذى اوحى للكاتب بهذا الهراء ، ولكنه يجيب لنا عن هذه الحركة الداخلية التى تنسق وتفرز لنا هذا الانطباع الجاهلى بقوله :-

" أما النظرة العلمية فقد عبر عنها أحسن تعبير فيلسوف وعالم رياضى آخر - " لابلاس " - عندما قدم كتابه نظام الكون هـدية إلى نابليون ، فسأله الإمبراطور : وما المكان الذى يحتله الله فى نظامك ؟ فأجاب لابلاس : الله فرضية لا حاجة لى بها فى نظامى ... فهل من عجب إذن أن نسمع " نيتشه " يعلن فى القرن الماضى أن الله قد مات ؟

وهل باستطاعتنا أن ننكر أن الإله الذى مات فى أوروبا بدأ يحتضر فى كل مكان ، تحت وقع تأثير المعرفة العلمية ......
." إن النظرة العلمية التى وصل إليها الإنسان عن طبيعة الكون والمجتمع والإنسان خالية من ذكر الله ، تماماً كما قال لابلاس " (١)
..........هكذا يقول " كاتبنا " أو " ببغاؤنا " المسلم .

تلك هى حرية " الكلمة " حرية " التعبير " حتى أصبحت هذا الكلمة ذات مفهوم مقزز تعنى إباحة السب فى مقدسات الإنسان وقيمه ومبادئه ، لأن وسائل الإعلام فى يد السلطة ، التى تحمى هذا الببغاء التى تردد حروف الهجاء وتحقق للاستشراق استراتيجيته وأهدافه ، فما تقال كلمة فى برلين أو باريس حتى تسمع صداها مرتداً إليها كالبرق فى السرعة والامتثال ....

١- نفس المصدر السابق ص ١٩.

وكتاب خلف الحجاب ماكان يكتبه بهذا الاقتدار بلاشير أو مكسيم رودنسون " ، فقد تجاوزت الكاتبة رسالة الاستشراق وفاقت أساتذتها فى حركتى " الهدم والتخريب " وحركتى " التستر والادعاء " وصاحبة الكتاب لا يعوزها الدهاء، فالدهاء سمة " النفاق " الذى يتلون وفقاً لما تمليه عليه طبيعة الصراع ، وحتمية المعركة ، والنفاق لون قديم من ألوان الانتماء الظاهرى للإيمان ، وعداء مستتر له ، فيه ازدواجية تفضحها المواقف ، ولا نستريب فيه عندما تسكن عن الحركة .. إنه منهج واحد إبتداء من عبد الله بن سلول وتحالفه السرى مع اليهود ، وإنتهاء بهذا الكتاب وتبعيته لنفس المخطط الذى يؤكد استمرارية الصراع ، وديمومة المصير .

وهذا المنهج الواحد وإن تغيرت أساليبه يظهر للنفس المؤمنة مهما ارتدى من الأزياء وتخفى تحت الأقنعة ....

إنها تدخل المعركة بصفتها الإسلامية ، وهو أسلوب جديد استحدثه الاستشراق وتبناه حتى لا يفقد أرضيته على الحركة الاستشراقية وحتى يحقق ثانياً أهم أهدافه . وهو النيل من الإسلام ، لقد نجحت التجربة ، وتم تصنيع " الدمى " وبرمجتها ، كبدائل للحركة وحتى يكون التشكيك فى العقيدة الإسلامية ..من هذه النخبة المسلمة والتى رضيت لذاتيتها أن ترتدى قناع النفاق ، لتؤدى دورها المرسوم كما خطط لها ....

وابتداء من " طه حسين وعلى عبد الرازق " ، وانتهاء بهذا

الكتاب ، كان الخط الأكثر عمقا يتبلور فى اتجاه واحد ، وبطريقة واحدة تعمل بفاعلية واقتدار ، وتسمح للعقل أن يتحرك للبحث والاستقصاء عن التجربة الإسلامية فى مسيرتها المضنية ، منذ النداء الأول والاستجابة الأولى ، وهذا الاستقصاء لا يهدف إلا إلى جمع المعلومات الموضوعة أو الضعيفة ليبرر حججه عن عقم هذا الدين ، وضعفه وعدم جدواه ....

فحين يكتب " على عبد الرازق " عن فشل تجربة الخلافة " يسند إليها الإستبداد المتمثل فى كلمة أبى جعفر المنصور حين قال " أنا سلطان الله فى أرضه " وكأن هذه العبارة تستمد أصولهامن التراث الغربى والذى كان يرى فى " الملك " الممثل الشرعى لله الذى يحكم بسلطته الفردية وأهوائه الشخصية ، ونسى الكاتب المسلم ، أن هذه العبارة تعنى فى الفكر الإسلامى - إستعارة عن مسؤلية الحاكم فى تنفيذ شرع الله على الأرض ، فالحاكم العادل ، هوالذى ينفذ حكم الله ، فهو بمثابة ظل الله يحتمى به الناس من الظلم ، ولكن الكاتب يستخدم التاريخ من منطلق إستشراقى مدروس ، وهو قلب الحقائق - وتفصيلها لتخدم فى المقام الأول الأهداف والمقاصد المنتظرة للإستشراق ....

وحين يكتب "طه حسين" فى كتابه " مستقبل الثقافة فى مصر " ...... "والتاريخ يحدثنا كذلك بأن رضاها " يعنى مصر " عن السلطان العربى بعد الفتح لم يبرأ من السخط ولم يخلص من المقاومة والثورة وبأنها لم تهدأ ولم تطمئن إلا حين أخذت تسترد

شخصيتها المستقلة فى ظل ابن طولون وفى ظل الدول المختلفة التى قامت بعده ." (١)

ونلاحظ فى هذا الخلط الغريب من التحويرات لحقائق التاريخ ، نوعاً من النفى بإسلامية مصر فى عهد الخلفاء ، فهو يطلق على الخليفة لقب " السلطان العربى " كذلك يقحم " ابن طولون " فى إشكاليات سياسية لا ترتكز على منطق ، فابن طولون حاكم مسلم وليس مصرى الوطن ، وكان يتبع الخلافة ، وقد قامت فى عصره حضارة إسلامية زاهرة ، ولم يقم بإعادة الشخصية المصرية " الفرعونية " إلى ذاتيتها ...

وهذا الخط المنظم فى تتبع المسيرة الإسلامية ورصد أخطاء وهمية للتجربة الإيمانية والحضارة الإسلامية التى أعطت لهذه الإمة وحدتها وتفردها وشخصيتها وتماسكها وقدرتها الإبداعية التى لا تزال شاهدة على عظمة هذا الدين وقوته فى العطاء المستمر الذى لم ينفد يوماً ، أو يصيبه الوهن ، طالما كان المسلم متمسكاً بهدا الدين مستظلاً بظله

أقول أن هذا الخط المنتظم فى إدارة الصراع ، وتجريد الأمة من خصائصها الذاتية ، وتشكيكها فى استعادة قدرتها ، وتصوير تخلفها الحالى كما لو كان إمتداد التاريخها الإسلامى " الهمجى " ....

فإذا كانت الحضارة الإسلامية مرتبطة بالدين ، وحركة التاريخ

١- طه حسين - الجريمة والإدانة - جابر رزق ص٣٣ .

تستمد قدرتها الحركية من إقامة هذا الدين فكراً ومنهجاً وأسلوب حياه ، فإن المعركة يجب أن تقع على الأرضية الثابتة ، والتى هى تجسيد حى وواقعى للقرآن والسنة ، سواء باستقراء ناقص ، أو فكر مسبق يسعى لتكوين شكل معين مطابقاً لتصوره الخاص لأى ظاهرة يدرسها ....

الخلفية الفكرية لدعاة الإستشراق

وكى تتضح لنا الرؤية ، وتتجسد الحقيقة ، حقيقة الهجوم على التجربة ، وبالتالى على المنابع التى وراء هذه التجربة والزعم بأنها لا ترتقى إلى مرتبة التصحيح للحياة ، للوجود ، للممارسة الفعلية للواقع ، فإننا نستحضر فى أذهاننا شيئاً من ممارسات هذا العقل والذى يمثل أحد روافده الدكتور " فؤاد زكريا " ، وصيغ تعامله مع ما تصوره ، وطرائف حيله التى نعتبرها تلخيصاً وتصو يراً للمنهج الذى اتبعته صاحبة كتاب " خلف الحجاب " وكما اتبعته من قبل رموز السقوط الحضارى لتلك الأمة ...

" الخطأ الأساسى الذى يقع فيه معظم دعاة تطبيق الشريعة ، وأنصار الحكم الإسلامى بوجه عام ، حين يجعلون من النصوص وحدها أساساً للحكم على موقفهم الذى يزعمون أنه موقف الإسلام ، من مشكلات الإنسان الرئيسية ، ويتجاهلون ما حدث بالفعل فى التاريخ . فطوال الجزء الأكبر من التاريخ الإسلامى ، كان الحكام يملكون نصوصاً قرآنية وأحاديث نبوية يمكن أن نستخلص منها مبادىء رفيعة

ساميه ، ولكن هذا لم يمنع معظمهم من أن يحكموا حكماً مطلقاً ، فيعبثوا بأرواح المسلمين ويتلاعبوا بأموالهم ويصادروا حرياتهم .

وهكذا فإن النصوص لا تغنى عن الرجوع إلى ما حدث بالفعل فى التاريخ ، ولا شك أن الصورة سوف تختلف اختلافاً شاسعاً لو تأملنا كيف ترجمت هذه النصوص السامية ، طوال التاريخ الإسلامى ، على أرضية الواقع ." ....

إن الغالبية الساحقة من دساتير بلاد العالم الثالث تمتلىء بنصوص رائعة عن تحقيق العدالة والمساواة وضمان الحريات وإحترام حقوق الإنسان ....إلخ ولكن هل يكفى أن نتناول النصوص الدستورية فى بلد بأمريكا اللاتينية تعبث بمصيرها دكتاتورية عسكرية دموية فنقول : أن العدالة والحرية متحققتان فى هذا البلد لأن المادة كذا من الدستور تنص على إقرارالعدالة الاجتماعية والاقتصادية وإقرار الحريات الأساسية أليس من الواضح أن الرجوع إلى النصوص وحدها لا يسمح على الإطلاق بالحكم علي أوضاع مجتمع ما ، أو حضارة ما ؟........

" سيقولون ، مرة أخرى إن هذا سوء تطبيق لا يمس " الجوهر " ولكن إذا كان " الجوهر " قد ظل غير متحقق طوال معظم فترات التاريخ ، ألا يدعونا ذلك إلى الشك العميق فى إمكان تحقيقه فى عصرنا الحاضر ؟ بل ألا يدعونا ذلك إلى الشك فى قدرة هذا " الجوهر " على التأثير فى المسلمين بوجه عام ، ما دام الطابع الغالب على سلوكهم طوال التاريخ ، هو الإبتعاد والإنحراف عنه ؟

" ومجمل القول أن دعاة تطبيق الشريعة يرتكبون خطأ فادحاً حين يركزون جهودهم على الإسلام كما ورد فى الكتاب والسنة ، ويتجاهلون الإسلام كما تجمد فى التاريخ ، أعنى حين يكتفون بالإسلام كنصوص ويغفلون عن الإسلام كواقع . ويزداد هذا الخطأ فداحة إذا أدركنا أن محور دعوتهم هو مشكلات الحكم ، والسياسة ، وتطبيق احكام الشريعة ، وكلها مشكلات ذات طابع " عملى " لا يكفى فيه الرجوع إلى النصوص وإنماينبغى أن يكمله على الدوام الاسترشاد بتجربة الواقع فنحن فى هذه الحالة لسنا إزاء مشكلة فلسفية أو كلامية نظرية ، بل إزاء مشكلة تنتمى إلى صميم الحياة العملية للإنسان ، ومن ثم كان تجاهل ما حدث طوال التاريخ الماضى ، وفى المحاولات المعاصرة للوصول إلى حكم إسلامى، خطأ لايغتفر"(١).

تدور أفكار الكاتب على محاور ثلاثة :

المحور الأول : التعامل مع النصوص والأحاديث النبوية على أساس مثاليتها وعقمها فى إنشاء أرضية متسقة مع الإنسان والواقع ، وبالتالى فهى لا ترتقى إلى مستوى التنفيذ العملى كما حدث لجمهورية أفلاطون ، والفكر المثالى الخيالى الذى يمتد بجذوره إلى آفاق المستحيلات . "فالجوهر قد ظل غير متحققاً طوال معظم فترات التاريخ " .

١- الوهم والحقيقة ، د. فؤاد زكريا ص ٩، ١٠ .

المحور الثانى : أن تلك النصوص والتى هى منابع " الجماعات الإسلامية " التى ينهلون منها ، ثم يتقيأون ما ينهلون ، ليست صالحة للأخذ بها ، لأن معالجة الواقع ومشكلاته ليست رهينة بالقوانين . فالقوانين والدساتير وحدها لا تسمح على الإطلاق بالحكم على أوضاع مجتمع ما ، أو حضارة ما ؟ ...

المحور الثالث : تجريد هذه النصوص من قدسيتها وفصلها عن العقيدة التى هى محور حياة المسلمين ، فإذا كانت هذه الشريعة مصدر شك وارتياب ، وإذا كانت المحاولات المعاصرة للوصول إلى حكم إسلامى خطأ لا يغتفر فإن الدين كله يصبح فريسة للبحث والمراجعة والتساؤل عن صلاحية هذا الدين للاعتناق ، وهل الارتداد عن هذا الدين هو الطريق العلمى والمنطقى لتكوين حضارى مستقبلى لهذه الأمة ،وأى دين هذا الذى يجب أن يعتنقه المسلم ؟......

ومن خلال النقاط الأساسية التى لخصناها ، والتى تمثل المنهج الفكرى للدكتور" فؤاد زكريا " سوف نجد أنها تمثل هزيمة نفسية جعلت كثيراً من مفكرينا يغرقون فى العتمة الفكرية التى تكتسب أحياناً صبغة الدفاع عن الفكر العلمى والتصور السياسى للوطن الإسلامى ، وهو يشكل حلقة متقدمة من تكنيك فكرى سياسى ذى نظرة استراتيجية شمولية تعمل على دوام السيادة الحضارية للغرب .

فهل من المعقول أن يخلوا تاريخنا الطويل من التجارب الإيجابية العظيمة والتى أعطت لأمتنا الإسلامية إمتدادها الهائل بين شعوب

الأرض وأعطت لها الريادة العلمية والسياسية تحت مظلة دستورها الخالد " القــــــرآن " .

إن هذا التصور المجاوز لحقيقة التاريخ والمبالغات فى إدانة السياسات الإسلامية هى خطأ عقيدى وتاريخى يجب ألا ينساق إليه مؤرخ جاد .

والذى ينظر من قرب إلى حقيقة تلك الأقلام والتى تعمل من خلال هذا المنهج الإستشراقى يرى أن أصحابها ظلوا مخلصين فى العمل لحساب الفكر الغربى ، فلما ظهرت بوادر اليقظة فى العالم الإسلامى وتحررت الشعوب الإسلامية من المؤثرات التبشيرية ، وظهر تيار " الإسلامية " عميقاً جارفاً ، كان أولئك يقومون بنفس الدور الموكل إليهم ، ولكن بصورة أخرى .

فبدلاً من الإشادة بالفكر الغربى والتبشير به ، أخذ الإتجاه يتحول إلى التنفير من الإسلام كشريعة وتاريخ ، وأن الحضارة الغربية هى القدوة والمثل الأعلى للحياة البشرية على الأرض ، فهى الإعتماد على العقل واستخدامه فى إكتشاف قوانين الكون والسعى إلى تعميره فى جانبه المادى ، وبناء عالم الرخاء الإقتصادى والحرية السياسية فى ظل النظام الديمقراطى الحر .

هذا الرفض النفسى لهؤلاء المفكرين للإسلام ، إنما ينبع أيضاً من شعورهم وسط هذا التيار الجارف بانتهاء رسالتهم الفكرية العلمانية والوجودية والماركسية بعد عودة الوعى للجماهير الغفيرة للمسلمين الذين يلحون على الأصالة والعودة إلى شريعة الله ، فكان

هذا التوجه إلى الدخول فى المعركة لا كمسلمين مخلصين ، وإنما كممثلين لتلك التيارات الغربية . ولكن فى ثوب المفكر العلمى الجاد الناصح الأمين لشعبه ، وليصبح دائماً فى مكان الصدارة الفكرية التى فقدها ولقد تناسى أولئك المفكرون أن الأصالة إنما تتمثل فى الانتماء إلى الله وطاعته بإقامة أحكامه وهذه الطاعة لاتكتمل إلا إذا كان التطبيق شاملاً وعاماً ومباشراً ويشهد لهذا الأصل قوله تعالى " فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ، ويسلموا تسليماً"(١) وقوله تعالى " أفحكم الجاهلية يبغون ، ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون " (٢)

ومن هذا المنطلق ، فإن تطبيق الشريعة الإسلامية من خلال " النصوص " التى تنزلت من الله سبحانه وتعالى واجب عقائدى فى المقام الأول ، وأن التشكيك فى قدرة هذه النصوص على تنظيم المجتمع بفعالية ، هو تكذيب سافر للحق سبحانه وتعالى الذى يقول " ومن أحسن من الله حكماً" وتشكيك فى حكمة تنزيلها على رسولنا الكريم ..فالمسلم لا يكون مسلماً إلا إذا اختار الإلتزام بشريعة الإسلام وأيقن أن ما تنزل عن الله تعالى ، هو الأصح والأعظم وأنه يعلو فوق كل جهد بشرى وضعى امتلأت به دساتير العالم .

ونحن نصاب بالدهشة حين يصف الدكتور " زكريا " دساتير العالم بأنها مليئة بالقوانين المثالية ، وبالرغم من ذلك فهى عاجزة عن

١- سورة النساء ـ ٦٥ .

٢ ـ سورة المائدة ـ ٥٠ .

تنظيم المجتمع ، فإذا كان هذا هو واقع تلك الدساتير فلماذا! نلجأ إليها ونبشر بها ونرفض دستورنا الإسلامى الذى يزعم الدكتور بأنه غير مطبق فى تاريخنا الإسلامى الطويل ... ومن أين جاء بهذه الأطروحة الكاذبة ؟!

ولقد تناسى الدكتور حقيقة تاريخية ومسألة بالغة الخطورة ، تلك هى القوة الروحية ، فمثالية الدساتير والقوانين لابد أن تقابلها قوة مماثلة للإيمان بهذه الدساتير ، وبدون هذا الإيمان تصبح هذه القوانين حبراً على ورق للحاكم والمحكوم على السواء وتفقد بالتالى صلاحيتها وشرعيتها (١) ، والإسلام هو الدين الوحيد الذى جمع بين واقعية التطبيق والإيمان العميق بالنصوص التشريعية المرتبطة بالأصل العقائدى ، والذى هو الإيمان الفطرى بالله سبحانه وتعالى .

فهل هذا يتمثل في دساتير العالم المثالية التى يستند إليها الدكتور متناسياً عنصر " الروحية " والذى هو أهم العناصر التى تربط بين الإنسان والنص ، والتى تفتقدها هذه الدساتير فى إدارة الحركة الصحية لتعامل الإنسان معها.

وهل هذا ذريعة لرفض " دستورنا " لأن هذه الدساتير مجرد حبر على ورق لا تقيم عامل التوازن الروحى والمادى فى نصوصها مما يتمخض عنه من تأثير سيىء على مصير تطبيقها ...

ونحن نتساءل أيضاً عن أى تاريخ هذا الذى يقبع فى تلافيف

١- انظر للمؤلف ـ كتاب شرعية الدولة .

عقل الدكتور لا شك انه التاريخ الذى يكتبه أساتذته من المستشرقين فى محاولتهم الدائبة لتشويه صورة الإسلام باستقطاب الروايات الضعيفة والجزئية وتقويتها بما لديهم من قدرة على التحليل والاستنتاج ، فلا يمكن للمفكر استناداً على الوقائع الجزئية إعطاء حكم عام على تاريخ عمره أربعة عشر قرناً . كانت فيه التجربة الإسلامية تقدم أروع النماذج الحضارية . بينما كان العالم الغربى تخيم عليه البربرية والهمجية ، بل إن العالم الإسلامى قدم لأول مرة فى تاريخ الأرض الدولة الشرعية التى تستند فى قيامها على القانون الذى يتواءم مع الحاكم المسلم والفرد المسلم ، ومع أى فرد يعيش فى الدولة الإسلامية متى عرف واجباته نحوها .

وهكذا فإن الرؤية التاريخية للتطبيق الإسلامى يتوجب أن تعالج من خلال هذا المنظور الواسع ولا يغمط حقها بسبب إخفاقها فى دورات التاريخ التى كانت فيها عوامل التفكك والتجزئة تنال منها ..

وهذه الدورات قانون صحى ذكرها الحق سبحانه وتعالى بقوله " وتلك الأيام نداولها بين الناس " (١) .

وهى حكمة يقف أمامها المؤرخ الواعى ، فلا يخلط بين بعض المظالم والتعسف التي كانت تعصف بالأمة فى إبان عصور الانحطاط الإسلامى فلا يعطى حكماً عاماً على التاريخ ، وإنما يجب عليه أن يفرق بين الظروف والدوافع والمسببات ، ويعطى لنا صورة حقيقية عادلة

١- سورة آل عمران آية ١٤ .

عن حركة التاريخ ودوراتها المعروفة من البدء والمصير ، والارتفاع والسقوط ، إنها حركة حضارية غفل عنها الدكتور ، فلم يمكنه الحكم الصحيح على التجربة والعقل الحضارى الذى كان بارزاً فى مواجهة العالم ، قائماً بدوره فى مواجهة الأخطار العاصفة فإستطاع أن يخرج منها ظافراً منتصراً وذلك بحسه العميق وإدراكه الذكى ، بأنه بابتعاده عن عقيدته وركونه إلى الأهواء البشرية إنما كان يفقد أهم مبررات وجوده وحيويته وتوثبه وانطلاقه .

الرؤية الذاتية للدكتور " زكريا " :

وهى ليست رؤية ذاتية ، وليست رأياً شخصياً كما يدعى الدكتور ، وإنما هى كما وضحنا منهج استشراقى يتبعه وما الدكتور إلا بوق دعائى كبير ينطلق فى الصراخ بعد برمجته من قبل رؤية شمولية وضعها له أساتذته من المستشرقين ، فهو حين يكتب عن التجربة الاسلامية يتخذ مذهب الإسقاط والتشويه فى الحديث عن هذه التجربة ، وحين يكتب عن الشيوعية يرى فيها الأمل المرتقب لحل مشاكل المسلمين ، فيا لها من عبقرية تخطت الزمان والمكان ! ، فلننظر إلى البعد العجيب الذى يتخذه الدكتور فى مقاله المنشور ، فى كتاب الهلال بعنوان (الأزمة الراهنة لليسار المصرى)" يقول الدكتور :.. بقيت كلمة أخيرة تعبر عن رأى شخصي بحت ، ولكنها صادقة كل الصدق ، وهى أن أزمة اليسار هى فى الواقع أزمتنا جميعا ، ومحنة اليسار الراهنة مظهر رئيسى من مظاهر محنة مصر ، ذلك لأن اليسار مهما قيل عنه ، يضم أفضل العقول ويقدم أفضل

الحلول ، والكارثة الحقيقية التى تعانيها مصر فى العقود الأخيرة من القرن العشرين هى أن من لا يملكون أى حل حقيقى لمشكلاتها وأزماتها هم المسيطرون على الجماهير (١) ، على حين أن من يقدمون البرامج الوحيدة القادرة على إنقاذ مجتمعنا مما ينتظره من كوارث محققة ، ينفض عنهم الناس وقد يقول هواة التحليل النفسى إن هذا تعبير عن نزوع إنتحارى لا شعورى ينتاب مجتمعا يائسا ، ولكن من يتأمل الأمور بنظرة منطقية لابد أن يلمح على مدى العقود الأخيرة ، تيارا جبارا (٢) ،إستند على جناحين : أحدهما خارجى والآخر داخلى ، يعمل بتخطيط دقيق من أجل تهيئة الظروف الموضوعية لتأكيد هذا الوضع المعكوس فى مصر ، بوصفها قلب العالم العربى ومفتاح الشرق الأوسط ..

ولا يعنى ذلك على الإطلاق أن نستسلم لليأس ونرفع الرايات البيضاء بحجة أننا عاجزون عن مقاومة هذا التيار ، بل إن كل ما نعنيه هو التنبيه بلا مداراة أو مواربة ، إلى ضراوة المعركة التى تنتظر قوى التقدم فى مصر .."

ونحن فى هذا المقطع لسنا بحاجة إلى التحليل ، وفضح المعركة بين الدكتور والإسلام ، فهو يصرح بوضوح إلى التنبيه إلى ضراوة المعركة بين التيار الإسلامى والتيار اليسارى الشيوعى التقدمى ، ومن

١- سبحان الله كيف يتصور الدكتور زكريا أن الإسلام لا يملك أي حل حقيقى لمشكلات المسلمين وقد عاش المسلمون أربعة عشر قرنا ، وأقاموا من خلاله حضارات هائلة .

٢- الحمد لله على انه تيارا جبارا يثير حقد الدكتور ويميته غيظا .

هذا المقطع ندرك أن أولئك الذين يكتبون فى الإسلام ويهاجمون الحكم الإسلامي لا يسلكون المنهج العلمي النزيه ، بل المنهج الذى يفصح عن نفسه صراحة بأنه فى معركة مستمرة مع الإسلام .

أنهم أصحاب النزعة التلفيقية التى تعمل جاهدة على إحداث معركة مفتعلة لا تمثل تصورا صحيحا للعلاقة بين الدين والعلم ، أو بين العقل والإيمان ، إنما يعملون على تشويش العقول المسلمة ، بما يدسونه عليها من أكاذيب هزيلة ، وآفترا ءات سخيفة لا تنتمى إلى الواقع ، إنما تعمل وفقا لتنظيراتهم المذهبية وتصوراتهم المريضة التى زرعها فيهم السيد الإستعمارى الذى يقبع فى موسكو أو بكين .

ومن خلال هذا المنهج ـ وبعد أن أدركنا البعد المنهجى لأولئك الذين يكتبون ناقدين للتجربة الإسلامية والفكر الإسلامى ، فإننا سننتقل إلى كتاب " خلف الحجاب " لنرى المعركة على حقيقتها ، إنها إنتقال من الناحية النظرية الى الناحية العملية التى تجسدها صاحبة خلف الحجاب بصوة واضحة ....

الفصل الثانى
دعوات قديمة تتجدد

من هذا المنطلق ـ رصد التجربة ـ إنتقاء الحدث ـ إعادة الصياغة وتكيفه بما يؤكد النظرية التى تحاول التدليل عليها ....تبدأ الكاتبة بحثها عن حركة " تحرير المرأة " تحت عنوان " دعوات قديمة تتجدد " ......

ولا نعرف من ماذا تتحرر المرأة ؟!

هل هو استعمال جديد لمصطلحات قديمة ظهرت على الساحة مثل " المساواه ، العدالة ، الحرية ، الكرامة " أم معركة أخرى مصطنعة لبلبلة الذهن المسلم ، وطرح مشكلات وهمية، تدين حركة الصحوة والاستجابة لدين الله ، ممثلة فى الإخوان المسلمين والجماعة الإسلامية ، والتى أصبحت واقعا مخيفا يقلق ضمير المنصرين والمستشرقين ، فكان لابد من الضرب الساخن ـ اختلاق الاتهامات ـ إشاعة اليأس من هذه الطلائع التى تطرح الحل الإسلامى ـ كبديل حتمى للحلول الوضعية " العلمانية ـ الماركسية ـ الوجودية " ....

ومع هذا ، فإننا سنقف دهشا طوال تعقبنا لمسار هذا البحث ، للصراخ والحمية ـ للإتهامات التى تكال للدعاة والعلماء والصحابة ، ولن نكف عن هذه الدهشة ، وعن طرح هذا التساؤل المحير ....

من أجل ماذا هذه الملاحقة .....!

تبدأ الكاتبة بهذا الطرح للمشكلة ، فتكتب :

أثارت الجماعات الإسلاميه في السنوات الأخيرة ضجة كبيرة حول قوانين الأحوال الشخصية وحجاب المرأة وعملها ".......

" هاجموا دعوات تحرير المرأة وتاريخها ورموزها من النساء والرجال "

" وأعادوا طباعة كتب زعمائهم ومنظريهم الفكريين وعلى رأسها مؤلفات : حسن البنا وسيد قطب وأبى الأعلى المودودى وأبى الحسن الندوى من المعاصرين " ....

" كما استدعوا من التراث إبن تيمية وابن القيم الجوزية وأبا حامد الغزالى وغيرهم ، بحجة أن أفكارهم الآتية إلينا من الزمن الغابر تحمل الحل لجميع مشاكلنا المعاصرة . "

" وماذا تخفى دعايتهم الإنشائية ... ؟

" أى مصير ينتظر جموع النساء على أيديهم..؟"(١)

بهذه النبرة الحادة ، تطرح القضية ـ الجماعات الإسلامية تثير ضجة ـ يستدعون التراث المتخلف من الزمن الغابر ، ثم تتساءل : أى مصير ينتظر هؤلاء المساكين ... على أيديهم ؟ .....

ولعلها بهذا المنطق المغالط تظن أنها قادرة على إدارة الصراع ـ ومواجهة المعركة ـ ،وطرح البعد الإجتماعى الأكثر انطباعا لدى المستغربين الذين يرددون المقولة الشهيرة للاستشراق ، وهو الفصل بين التراث ـ والمشاكل المستحدثة ، وقطع الجذور التى تشدنا إلى أعماق أرضنا وتاريخنا وشخصيتنا ، من أجل أن نغدوا وقد قطعنا هذه

١- ص٧ .

الجذور ، مجردين من اسلحة الحماية الذاتية والدفاع ، فلا تكون النتيجة غير التفتت وفقدان الهوية ، وبالتالى الذوبان فى عالم تسيطر عليه مقدرات أخرى ، وممارسات علمانية لاعلاقة لها بالإسلام .....

ثم تبدأ فى السرد التاريخي ... ابتداء من تكوين " حسن البنا " لجماعة الإخوان المسلمين وتصديه لحركة " تحرير المرأة " والصراع بين هذه الدعوة المتخلفة وبين النخبة الواعية المستنيرة المتمثلة فى هدى شعراوي ، وزينب مراد وشهرتها (سيزا نبراوى) ...

فإنه من" الطبيعى أن ترفض الفتاه التى حرمت طويلامن كل الحقوق دعوة الحجاب والعودة إلى البيت "

" ففى الوقت الذى اكتشفت فيه المرأة قدراتها الذهنية وبدأت تنهل من العلوم النظرية والعملية جاءت فتاوى إلبنا وكأنها أحجار الماضى تنزل مرة أخرى على رؤوسهن ، لقد احتملت نساء هذا العصر السباقات إلى العلم ضراوة الهجوم الذى شنه الإخوان المسلمون ضد تعليمهن فى المراحل العليا "(١) ...

إذن فالصراع بين الإسلام وأعدائه ، إنما هو صراع حضارى ، بين التخلف والانطلاق ، بين الرجعية والتقدمية ، ونسيت الكاتبة أن المنهج الربانى فى حقيقة دعواه ... قفزة لاتدركها بصيرتها المادية المتقوقعة فى حثالات الفكر الوضعى " البشرى " قفزة عملاقة فى التصور ... للحياة ، لغاية الوجود الإنسانى ، لمركز الإنسان فى الكون ـ لخصائصة وحقوقه وواجباته ....

١- ص١١ .

ولا شك أن هذا التصنيف الذى تتضح سماته ، فيما بعد إنما هو لون من التكتيك المرحلى الذى يهدف إلى وضع الإسلام فى قالب مسبق من الرؤية المغرضة التى لاتستند إلى دليل علمى يقينى بعيدا عن التلفيق بألوان شتى ....

ومن القفز فوق الظل الذاتى تجمع الكاتبة بين نص " لحسن البنا " جاء فى تذكر الداعى : وبين طبيعة التطبيق وديكتاتوريتة التى يضيق بها العصر التقدمى كما تتخيله الكاتبة ....

" المسلم مسئول عن أسرته ، ومن واجباته أن يحافظ علي صحتها وعقائدها وأخلاقها ، وأتعهد بأن أبث تعاليم الإسلام فى أفراد أسرتى ولا أدخل أبنائى فى مدرسة لا تحفظ عقائدهم وأخلاقهم ، وأقاطع كل الصحف والنشرات والكتب والهيئات والفرق والأندية التى تناوئ تعاليم الإسلام .... "

ثم تعلق الكاتبة على هذا النص فتقول :

" وإذا اعتبرنا البيت هو الخلية الأولى للمجتمع كما يقولون والرجل مسئولا عن أسرته مسئولية مطلقة حتى يعين لها ما تقرأ وكيف تفكر وتتصرف ... وهذا الرجل يتلقى أفكاره عن المرشد العام الذى يعتبر مسئولا عن أفراد جماعته فيمنح ويمنع ويحلل ويحرم وينظر لهم الشاردة والواردة ... فيمكن أن ندرك أى نسق يحكم أفراد تلك الجماعة كما لو كانوا يعيشون فى دائرة مغلقة تحكمها عين الأب أو الزوج ، وعين المرشد العام وسوطه وأوامره ونواهيه .... " (١)

١- ص١٤ .

ومن البديهيات المعروفة فى الإسلام ، أن الداعية لايملك التحريم والتحليل وفقا لما يمليه عليه الهوى ، وإنما وفقا لما تمليه عليه الشريعة ، فإن ماقام به " حسن البنا " رحمه الله لا يزيد على أن يبين للناس حقائق الشريعة ومقاصدها ، وبذلك يكتسب صفة " الداعية " فهو ليس فيلسوفا يبتكر منهجا وضعيا " ماركسيا أو برجماتيا " جديدا والكاتبة تدرك هذه الحقيقة ، وتدرك أيضا أنها حين تهاجم الرموز الإسلامية ، إنما تهاجم النصوص التى يستندون إليها ، وهى " تراث " المسلم الذى يحمل فى طياته وجوده وذاتيته الحضارية ، وهذا هو المقصود بعينه ....

ووجه التعجب أن الكاتبة .... تستند فى صميم العلاقات التى تزاوجها إلى " التراث " .... ولكن أى تراث هذا الذى تستند إليه ؟!

بلا شك إنه ليس تراث الإسلام ، إنما التراث الذى يبيح لها النقد والتشكيك لمشكلات العقيدة ، وتعاملها معها كما يتعامل المفكر الوضعى مع التراث " البشرى " الجدلى الذى يخضع للخطأ والصواب ، للنقد والتنحية ، للشطب والتصحيح ....

ثم تخطو خطوة أخرى فى الهجوم على سلوك رمز آخر من رموز الحركة الإسلامية المعاصرة ....

" أما عمر التلمسانى المرشد العام التالى للإخوان المسلمين فكان متطرفا فى غيرته عليها ـ يقصد زوجة التلمسانى ـ إلى درجة جعلته يمنعها من سماع أغنيات الموسيقار رياض السنباطى

لشغفها بألحانه ، بل حرمها من أن تزوره فى السجن (فيما بعد) عشر سنوات كاملة حتى لا يراها ضباط السجن ورفاقه من المسجونين عند زيارتها له " .....

" وإذا كان هذا هو وضع زوجات الزعماء أو زعيمات الزوجات كما وضعهن الترتيب القيادى للإخوان ، فلنا أن نتخيل وضع القاعدة ، ونوع العلاقات التى تحكم مختلف العلاقات الشخصية بالأزواج وباقى أفراد الأسرة "(١) .....

وهذا التعريض والزج والإقحام لزوجات الدعاة من غير ضرورة لايخفى نوعية الهدف فالداعية والذى هو قدوة حسنة للمسلمين ، فى زعم الكاتبة ليس كذلك ، فإذا كان هذا هو الواقع ، فلم تكون الدعوة للحياة الإسلامية وعقمها ؟

وفى معرض التلويح وتطبيق منهج الإسقاط الكلى على رموز الحركة يأتى عنصر النساء ، وشخصياتهن البارزة ـ وتحليله تحليلا دونيا لا يرتقى إلى مستوى الآدميات ، فهن منسحقات تحت براثن القوى الرجولية ، مفتقرات إلى الإستقلالية الذاتية ، تابعات لقبضة حديدية تجرهن من شعورهن على فراش الأشواك .

فزينب الغزالى ـ أبرز الأخوات المسلمات ـ وأنشطهن .... تكشف لنا الكاتبة عنها .... فتقول :

" وربما تكشف رسالة زينب الغزالى أبرز الأخوات المسلمات ـ وأنشطهن عن مدى الانسحاق الذى يصبغ علاقتها هى شخصيا وعلاقة

١- ص ١٧ .

الأخوات المسلمات أمام المرشد العام :

سيدى الإمام حسن البنا :

زينب الغزالى الجبيلى تتقدم إليك اليوم وهى أمة عارية من كل شيئ إلا من عبوديتها ، وتعبيد نفسها لخدمة دعوة الله ، وأنت اليوم الإنسان الوحيد الذى يستطيع أن يبيع هذه الأمة بالثمن الذى يرضيه لدعوة الله تعالى ، فى انتظار أوامرك وتعليماتك سيدى الإمام ...."
" وإذا كان هذا هو وضع أبرز سيدة فى تاريخ الأخوات المسلمات فإننا لا نعجب ......   " فالمرأة إذا ناقشت حقوقها فهى فاسقة ، وإذا خرجت للعمل فهى منحلة "(١).......

وفى المقابل الآخر نجد نوعاً ما من التفاضل التصويرى للمرأة ، صراع بطولى لا يهدأ من أجل استحداث معركة إدانة لإشكاليات التخلف والذى هو إفراز طبيعى لمجتمع خفتت فيه روح الإبداع والأصالة الإسلامية ، وهذه المعركة المستحدثة فى تاريخ المجتمع الإسلامى والتى سميت بحركة " تحرير المرأة " " كانت إنفصالاً مفضوحاً لجذور طالما أمدت المجتمع الإسلامى ببريق الفاعلية والتآلف البشري على مسرح العالم ، كانت مجرد تقيح صديدى جاءنا من الغرب ، إنبهار أعمى لإبداعاته المادية ، سقوط مرذول فى مباذله الجنسية والاجتماعية ، جهل ساذج مبرمج بمعطيات تلك الحضارة الذى انعكس على مساحات واسعة من الأدب والفكر والقصة والنقد ، وبالتالى فإن قضية " تحرير المرأة " أخذت جانباً من

١- ص ١٦ ، ١٧ .

تلك المساحة ، تتلون وفقاً لهذه الإسقاطات ، والشعارات والتحديات الوهمية لكل ما ينتمي للذات الإسلامية ، للأصالة - لحركة التاريخ - للبحث الجدى عن صيغ الحضارة كما يرضاها الضمير والمنطق - وكل ماهو لائق لإنسانية الإنسان ....

فهدى شعراوى تتصدي لهذا الدور ، تقوم في ثورية نشطة لتعلن للمجتمع - انتهاء عهد القهر والغلبة ، تطالب للمرأة بدخول البرلمان ومشاركة الرجل الحياة السياسية ، تخلع الحجاب رمز التبعية والسقوط ، تبدأ صراعها التاريخي الذي تصفق له الكاتبة وهى ترسم لها تلك الصورة ، والتى هى على النقيض من النساء اللواتى يستذلهن " البنا " وأشباهه من رموز الحركة الإسلاميــة النــاهــضة .... فتقـــول:-

" وخرجت مظاهرة بزعامة هدى شعراوى تطالب بدخول المرأة البرلمان فى يوم افتتاحه " ....

"ولم تفقد هدى شعرواى بعد ذلك زمام المبادرة فى مواجهة سعد زغلول وشعبيته الكاسحة " (١) ....

" بلغ الخلاف بين هدى شعرواى وقيادة حزب الوفد حداً دفعها إلى تشكيل تنظيم نسائى آخر فى ٦ مارس ١٩٢٣ م على أنقاض لجنة الوفد المركزية للسيدات "...

" وعلى قدر تكتل الحركة النسائية وقوتها استطاعت أن تنتزع بعض

١- ص ٢٠ .

الحقوق الملائمة لمدى تطور المجتمع فى ذلك الحين ، وظلت هناك مجالات لم تستطيع اقتحامها كحقل القضاء والنيابة والبرلمان وإدارة الدولة وغيرها ، كما ظلت تقع تحت وطأة قوانين الأحوال الشخصية ذات الصبغة الدينية "(١) .....

فهو إذن صراع حتمى على مستوى البروليتاريا التى عليها أن تنتصر على القيم البرجوازية ، وإستعباد رأس المال ، ودجل رجال الدين ... ولكن ... وقبل أن ندخل فى مناقشة ...نجد أنفسنا إزاء هذا السؤال الملح :هل قضية التخلف التى تدينها الكاتبة ...كانت

هل قضية التخلف التى تدينها الكاتبة ... كانت تخص المرأة وحدها ؟.... ومهما يكن من أمر وعلى مستوى التحقق التاريخى ، فإننا نجد كيف سعى الاستعمار وعوامل تراكمت لا سبيل إلى حصرها ...... إلى إسقاط الشعوب الإسلامية من دائرة التواجد الحضارى وسنكون مخطئين لو حاولنا التخلص من الإدانة واللجوء إلى الصيغ التبريرية لسلوك القيادة التى انحرفت ولو جزئياً عن منهج شعوبها الذي كان طوال عمرها الزمنى ، مفتاحها الرائع للتوثب والتمكين ... وأنه من الصعوبة أيضاً أن نتخيل أن انحراف القيادة ...كان سبباً من أسباب التسيب وإنفلات هذه الشعوب من عقائدها ، فقد تداولت العصور بين القيادات القوية والضعيفة ... وكان المجتمع الإسلامى قادراً على الاختزال والاستمرارية والثبات ، ولكن طوال فترة المعاناة والصراعات ، كان لابد لهذا المجتمع ..أن يصيبه التحلل والمرض ..ثم

١- ص ٢١ .

جاء الإستعمار كي يضع بصماته وأمراضه المتعفنة فى جسد هذه الأمة .

إن تحليل المسببات..وإرتباط بعضها ببعض ..لا يسمح للمفكر أن يقيم هذه العوارض فى إطار النقد للدين الإسلامى ... كما يحاول العلمانيوّن طرح القضية ..ويعلنون إدانتهم لا لبعض القيادات الخاطئة ... ولكن للإسلام نفسه ، وهى خطيئة فى المنهج تعطى لنا انطباعاً غبياً لنوع التفكير لديهم ..فالإسقاطات الفرضية التى يعملون إقامتها على المجتمع الإسلامى ، وحركته التاريخية - تختلف إختلافاً جذرياً عن المجتمع المسيحى الغربي وحركته كتاريخ - وهى خطيئة تبلغ حد الجهل بقضية المنهج الإسلامى كتاريخ .... وللإسلام كدين ....

وقضية " تحرير المرأة " كما تمارسها الكاتبة ... نوع من الخطأ فى المنهج - وفى التصور - فالمرأة كانت جزءاً من قضية عامة - وبعيداً عن النظرة الجزيئة - فإننا نجد أن المرأة والرجل معاً .... أى " الإنسان المسلم " كانا فى حاجة إلى " تحرير " ليس من الإسلام - رمز التخلف لدى الكاتبة .... ولكن بالإسلام الذى تكمن فيه كل القدرات التي كانت دائماً تدفع الذات المسلمة إلى آفاق العالم وإثبات الوجود..............................

والنتيجة المحتومة التى تمخضت عنها تلك الرؤية القاصرة ، أنما كان استقراءاً أساسياً ... من أوراق معدة لكافة روافد الحياة ، وليست المرأة إلا جزءاً من خارطة ، تتسع لتشمل جوانب السياسة والاقتصاد والقانون وأسلوب الحياة.......................

وإبتداءً من أقصى الشرق في إستنبول ... إلى أقصى الغرب

[illegible] ... كان " كمال آتا تورك " يسقط الخلافة ، و " علي عبد الرازق " يلغى الجانب السياسى من الإسلام ويزعم أن الإسلام دين يعنى بالجانب الروحى للإنسان ولا يصلح لقيادة الأمة ... وكانت هذه الأرضية التى مهد لها المبشرون والمستشرقون والذين تربوا فى معاهدهم أمثال " طه حسين " و " قاسم أمين " إيذاناً بفتح جديد هيأ لنخبة أخرى تردد نفس المقولة في مجال المرأة وتحررها ..

وفى معرض الإسقاطات التى حاولت الكاتبة - أن تدين بها " الزعيمات " المسلمات أمثال " زينب الغزالى " - نرى أنها نسيت شيئاً هاماً جديراً بأن نتوقف عنده لحظة ... " فحسن البنا " كداعية بالرغم من فتاويه والتى جاءت " كأنها أحجار الماضى " لم يرفض - نشاط المرأة المسلمة - حين وجدها تمارس التعبير عن قدراتها فى الساحة التى تجد أنها أهل للتحقيق من خلالها....

وبالتالى فإننا نعود إلى نفس التساؤل الذى نكرره فمم تتحرر المرأة إذن ... وهى من خلال نشاطها المشروع تتحرك وتعبر عن ذاتيتها وعقيدتها ؟ ....

بل إننا حين نتابع معها مقارناتها بين المرأة المسلمة ... والمرأة داعية التحرر ... فإننا نجد أنفسنا فى مواجهة نسقين متضادين ... لا ينتمى أحدهما للآخر .

نسق يضرب بالقيم عرض الحائط ... ونسق يتعامل ويتحرك وفق الشروط والمواصفات التى رسمها الإسلام .

وسوف نلاحظ فى تعبيرات الكاتبة ... شيئاً غريباً ...

الثورية والتمرد .. لدي " هدى شعراوى " فى تعاملها مع سعد زغلول زعيم الأمة ..

الأدب والحياء .. لدى " زينب الغزالى " في تعاملها مع الداعية الجليل حسن البنا ......

هدى شعراوى ـ تعارض وتخالف زينب الغزالى ـ وأسلوب المرأة التى تملك رصيداً من التحضر والذكاء وهما صورتان لم تلتفت إليهما الكاتبة في عرض دعواها ... ولم تقصد منها غير تصوير شجاعة المرأة وتمردها على دكتاتورية الرجل وبين استجداء المرأة لسيدها كجارية تباع وتشترى ....

ومع الصراع الذى تستحدثه الكاتبة - وعلي مستوى التحليل التطبيقى لبنية المجتمع تقودنا الكاتبة إلى خيبة أمل لدعوة " تحرير المرأة " والتشبث الأعمى بأوهام فرضها الفكر الوضعى على الساحة ، والأيدلوجية الاستشراقية التى لفظها الجسد الصحى ، والنفس السوية التى خلقها الله وفرضها كحقيقة ثابتة فى الفطرة .

" خلال رحلة التسعين عاماً الماضية من عمر البرجوازية المصرية نستطيع أن نرصد ببساطة أن جهود حركة تحرير المرأة فى البداية كان يعتمد أساساً على النساء الملاك وكبار رجال الدولة ثم دخلت الحركة مثقفو البرجوازية الصغيرة حتى إتسع نطاقها الجماهيرى بين طالبات الجامعة وشرائح البرجوازية الصغيرة "........

" ويخلص البحث إلي أن الطبقة المثقفة المقيمة بالمدينة والتي عملت علي إنجاح دعوات قاسم أمين ، خرجت منها بعد أكثر من نصف

قرن الدعوة إلى ارتداء الحجاب مرة ثانية " أما موقف عينة البحث من التعليم والعمل فكانت إجابته ٧٦,٥٪ من عينة المحجبات أن أهمية التعليم تنحصر فى أنه يعد الفتاة لتكون زوجة صالحة "(١) ...

" إذن فالصراع الذى كان يقوده مثقفو ومثقفات البرجوازية المصرية من أجل خروج المرأة للعمل تقوده نفس الشرائح الطبقية للعودة مرة أخرى إلى البيت والحجاب " ومع هذا الواقع ..ووفقاً لمنهج التقريب والبحث العلمى المغرض تقتحم الكاتبة مجال التوغل فى الاستنباط والتحليل لهذه الشريحة العينية ووضعها تحت معملها الخاص ، وأعطائنا عنها صورة إضافية ولكنها مشوهة عن حقيقة تلك الطبقة ... والتي هى الطبقة المثقفة والتي أدركت وهم القضية ... وعبثية الدعوة ... وخداع المبشر ... فتقول ....:

« وبين الدعوة للتحرير والدعوة للتحجب حوالى تسعين عاما ، حققت فيها البرجوازية بعض مهامها ومنيت بالكثيرمن الهزائم ليعلن لسان حالها الآن أنها لا تستطيع إنجاز باقى المهام ... فانكفأت على ذاتها مرة أخرى وراحت تبحث عن حل يخرجها من الأزمة الاقتصادية والاجتماعية التى تطبق علي صدور جمهورها من الموظفين والموظفات والتكنو قراط وصغار التجار والحرفين وزوجاتهم ... راحت تبحث عن حل ينفي عنها العجز ... ووجد هذا الجمهور المتعب والمثقل بالهزائم فى أشد الدعوات عنصرية وديماجوجية مما يظن أنه الحل " ..

١- ص ٣٠ .

ولو صدقنا هذا القول ... الذى تكذبه الفطرة ، وكما تسجله الحركة الاجتماعية ... فإننا نقول للكاتبة ... ماذا ياسيدتى .... لو جلست بينك وبين نفسك .... بعيداً عن غسيل المخ الذى وقعت تحت تأثيره من أساتذتك المبشرين ؟ . . . .

لا شك أن فطرتك ، وذاتك المسلمة ، وطبيعتك كامرأة ... ستنطق ... كما نطقت لهذه الملايين من الفتيات المثقفات الواعيات اللواتى رأين فى دين الله .. حقيقة الحياة ، وطبيعة الوجود ... والتى ترين أنت فيه " أشد الدعوات عنصرية وديماجوجية " ... وما هكذا نصف ديننا ياسيدتى ، فإنه على الأقل يعلمنا الأدب.. فى التعبير وفى الخطاب . . . . .

ـــــس لث

المرأة في نظر الجماعات الإسلامية

ـ صورة من قريب ـ

تحت هذا العنوان تبدأ الكاتبة فى متابعة رصد الحركة الإسلامية المعاصرة ، والتى هى واقع حى طرح العديد من الظواهر التى يضعها المستغربون والسلطة فى موقف الإدانة إن كلا من المستغربين – والسلطة – يؤدى دوره ، فهذا يضع لها صورة مشوهة منفرة للرأى العام ، وذلك يعمل على التصفية الجسدية وحجب الرموز الحية للحركة والأكثر فاعلية داخل السجون والمعتقلات ....

والمشكلة ليست فى الجماعات الإسلامية كما يظن هؤلاء وأولئك – المشكلة أننا نعيش حقا لا وهما فى عصر الإدانة لكل الأشكال السلوكية والفكرية لهذه الحضارة الغربية الفاسدة

أصوات من الغرب ....

يقول " جارودى " المفكر الفرنسى الذى أعلن إسلامه ... " الغرب عرض طارىء ... إنه طراز استثناء ضئيل فى الملحمة الإنسانية التى دامت ثلاثة ملايين سنة "........

" أنا أطلق عبارة " الشر الأبيض " على هذا الجانب من الدور المشئوم الذى نهض به الإنسان الأبيض فى التاريخ "

" والتاريخ الحقيقى ، أى التاريخ الذى يرغب عن أن يتركز حول الغرب ، قد يكون تاريخ " فرص " أضاعتها الإنسانية بسبب التفوق الغربى الذى لا يرجع إلى ثقافة بل إلى إستخدام تقنيات السلاح والبحر

لأهداف عسكرية وعدوانية " (١) . . . .

وفى رواية للكاتب المسلم " ليوبولد فايس " " محمد أسد " الطريق إلى مكة " نلتقى بالصورة الفنية المعبرة عن مأساة الإنسان الغربى وتمزقه " ....

" إن المدنية الغربية لم تستطع حتى الآن أن تقيم توازناً بين حاجات الإنسان الجسمانية والاجتماعية وبين أشواقه الروحية . لقد تخلت من آدابها الدينية السابقة ، دون أن تتمكن من أن تخرج من نفسها أى نظام أخلاقى آخر مهما كان نظرياً يخضع نفسه للعقل "(٢) تلك هى المقولات التى تصدر من الرجل الأبيض نفسه ، وحين نقلب أوراق الفكر المتمرد على تلك الحضارة سوف نجد " كولن ويلسن " وكتابه " سقوط الحضارة - واللامنتمى " وجون أزبورن " وكتابه " أنظر وراءك فى سخط " كذلك نجد الهيبيز فى أوربا ومانسون فى أمريكا كشكل من أشكال الإدانة لمظاهر تلك الحضارة المادية ، الساقطة المتحللة . . . . . . إن اللا إقتناع الذى ساد الفكر الغربى والشباب الغربى لعبثية الحياة وعفنها وعدم جدواها فى ظل مفاهيم دونية لا ترقى بالإنسان أبداً ، يعطى لنا انطباعاً مقنعاً بأن التمرد ليس ظاهرة منفردة للتخلف والانحطاط " والعنصرية " كتعبير الكاتبة ، بل يؤكد أن هذا التمرد ظاهرة صحية تتحرك رفضاً لمعطيات تلك الحضارة التى ثبت فشلها وعجزها عن متابعة تطور الإنسان وتغذيته

١- حوار الحضارات ـ جارودى ـ ص ٨ .

٢- الطريق الى مكة ـ محمد أحمد ص ٣٢٠ .

بالقيم الروحية والأخلاقية ، وشعوره بإنسانيته الممزقة التى تسعى إلى التوحد والتمازج فى الوجود.........

ولنستمع إلى شاهد يعبر عن هذه المأساة " ولم تستطع الحيرة لدى الشباب أن تجد لنفسها موطىء قدم بسبب فقدان المقاييس الروحية الأخلاقية الموثوق بها ، لم يستطع أحد أن يقدم إلينا ، نحن الشباب ، أجوبة مرضية عن كثير من الأسئلة التى كانت تحيرنا . كان العلم يقول : " المعرفة هى كل شىء " ونسى أن المعرفة دونما هدف أخلاقى لا يمكن أن تؤدى إلا إلى الفوضى والغموض " (١) . .

الجماعات الإسلامية : ....

وحركة الشباب المتمثلة فى " الجماعات الإسلامية " تمثل اليقظة والتحدى الحضارى فى مواجهة التردى الفكرى والانحلال السلوكى الذى أصبح سمة هذا العصر ، مما جعل من الطبيعى - أن تكون تلك الحركة هى حركة الإنسان فى كل مكان ، تعبيرا عن الرفض المطلق - لكل هذه النماذج الحضارية الساقطة ...

إن الهيبز - " ومانسون " كحركة - بدأت كصوت حتمى للاحتجاج والإدانة - وستظل أبدا ، مجرد رمز لم يتبلور إلى أكتشاف يقينى لمرفأ السلام ، بعكس كل من " جارودى " ومحمد أسد " والشباب " المسلم " فقد نجحوا فى الوصول إلى الهداية ، كعلامات مشرفة وناطقة لوعى الإنسان وأصالته التى تقوده دائما الى الله

ويقدم لنا الدكتور " يوسف القرضاوى صورة رائعة للشباب المسلم باعثها الإعجاب بما عليه هؤلاء من قوة فى

١- نفس المرجع السابق ص ٨٥

دين وصلابة فى يقين يقول الدكتور :

« وأشهد لقد خالطت هؤلاء الشباب فى أكثر من بلد إسلامى ، وعرفت الكثير منهم عن كتب ، فلم أر منهم إلا قوة فى دين ، وصلابة فى يقين ، صدقا فى قول ، وإخلاصا فى عمل ، وحبا للحق ، وكراهية للباطل ، ورغبة فى الدعوة إلى الله ، وبراءة من الدعوة إلى الطاغوت ، وإصرارا على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وتحرقا للجهاد فى سبيل الله وإعلاء كلمته ، وإهتماما بأمر المسلمين أينما كانوا، وتطلعا إلى مجتمع يعيش حياة إسلامية متكاملة ، توجهها العقيدة ، وتحكمها الشريعة وتضبطها الأخلاق "... « لمست فى هؤلاء الشباب إسلاما جديدا حيا غير إسلامنا التقليدى الميت ، وإيمانا متدفقا حارا غير إيماننا الموروث البارد، وإرادة صلبة فى فعل الخير غير إرادتنا المخدرة ، وجدت قلوبا عامرة بخشية الله وحبه ، وألسنة رطبة بذكر الله وتلاوة كتابه ، وعزائم متعودة على إحياء العمل بما مات من شرائع الإسلام وسننه "(١)...

" وطالما أعلنت فى مصر فى غير ما مكان : أن أعظم مافى مصر الآن هو هذه الثروة البشرية التى لاتقدر قيمتها بشئ مادى ، وأعنى بها هذا الشباب الناشئ فى طاعة الله ونصرة دينه "...

١- الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف ص ١٣٧ .

ومن القضايا المفتعلة

المرأة والشيطان

" المرأة تأتى على صورة شيطان ... فإذا رأى أحدكم امراءة فأعجبته فليأت أهله فإن معها مثل الذى معه "...

" حديث يتكرر استخدامه كثيرا فى أدبيات الجماعات الإسلامية ولكن لماذا تصور المرأة على هيئة شيطان ؟ ..

" ألا يعنى أنها شئ كريه وبشع ويجب أن يحارب ؟..."

ألا تقدم تلك الصورة عكس إدعاءات الجماعات الإسلامية بأنها تريد الخير للنساء ... فكيف تريد الخير للشيطان ...(١)

بهذا الإسقاط الغريب ، تبدأ الكاتبة هجومها وسلاحها المنطق الخلاب ، تلوح به للفكرة ، وتصرف المعانى عن مقاصدها متدثرة بثوب الإنسانية والخير ...

وحين نتأمل جيدا ندرك أن الكاتبه لاتهدف إلى مجرد الهجوم على الجماعات الإسلامية - وإن كان ذلك واردا - بقدر ماتهدف إلى تطبيق المنهج الاستشراقى الذى يستخدم التجربة والفعل - من قبل المسلمين - فى مهاجمة النصوص الدينية الموثقة حتى لاتكون دعاواهم صريحة ومكشوفة فتلقى إلا عراض والصدود وهم أحرص مايكونون على التسرب إلى العقول من أيسر الطرق ، ومن هنا - أيضا - أشتد حرصهم على التستر وراء العلم والتجربة لضرب الصحوة الإسلامية أينما تكون ، فالنص - الذى تعرضه الكاتبة - لايصور المرأة وإنما فى

١- ص ٣٥ .

الحقيقة يصور الدفقة الحيوانية وطريقة معالجتها ..

فالرجل كذكر والمرأة كأنثى .. ذود كل منهما بخصائص بيولوجية ونفسية تجذب الطرف الآخر ، كنوع من التكامل الحيوى ، الذى لابد منه لاستمرارية الحياة ... والإسلام فى بنائه التكوينى للأسرة ، وتنظيمه للعلاقات الإجتماعية للجنسين - جعل الزواج قاعدة حتمية لبناء المجتمع ، هذه القاعدة التى حاولت المجتمعات الشيوعية نبذها والتحلل منها فباءت بالفشل .

والإسلام حين يعمل على المحافظة على تلك الخلية ، يكشف بطريقة تشهد على إدراكه العميق بدخائل النفس البشرية وأغوارها فحثها على الطريق السليم لتفريغ الطاقه الجنسية ...

فأولا : لابد أن ندرك أن الرجل قد يتعرض للإغراء والإثارة لأى ظرف طارئ ، فتنصرف عواطفه عن شريكه ، وأن لم يقده هذا الإغراء إلى الانزلاق إلى الخطيئة والوقوع فى الفاحشة ...

ثانيا : أن هذه الإثارة لايجب أن تترك دون ضوابط تعيد التوازن إلى الكينونة الإنسـانية وتنظيم دفقتها الحيوانية ، حتى لاتهبط إلى الدونية والتى هى من خصائص البهائم ...

لذلك يأتى الحديث الشريف لإعطاء العقل الإنسانى دفعة من الوعى والتبصر لحقيقة المشكلة ، فالمرأة التى " أعجبته " وأثارت غرائزه متوفرة لدية ، ليس عن طريق الفاحشة والحيوانية ، بل عن طريق العلاقة الإجتماعية النظيفة التى شرعها له الله ...

فإذا استشعر العقل بهذه الحقيقة ، واستيقنت الغرائز بأنها

ترتوى عن الطريق المشروع ، تسامى الإنسان على شهواته وامتنعت الفاحشة فى المجتمع ، ووجد الرجل والمرأة كفايتهما من ضروريات الجسد والحياة بلا سقوط فى وحل الرذائل ، بل فى ظل قيم مكفولة بحكم التشريع والنظام ...

وقد شدد الإسلام على الرجل والمرأة بأن يضعا المشكلة الجنسية فى صورتها الطبيعية ، وجعلها ثوابا يرجى منه الأجر عند الله ففى الحديث الذى رواه مسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما سئـــل " يارسول الله أيأتى أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟ قال : أرأيتم لو وضعها فى حرام أكان عليه فيها وزر ؟ قالوا بلى قال : فكذلك إذا وضعها فى الحلال كان له فيها أجر "...

وفى الحديث الذى رواه إبن ماجه حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " والذى نفس محمد بيده " لاتؤدى المرأة حق ربها حتى تؤدى حق زوجها ، ولو سألها نفسها وهى على قتب لم تمنعه نفسها "

...

بهذا يضع الإسلام الحلول العملية للغريزة الجنسية بواقعية مقبولة لاشذوذ فيها أو انحراف ، ولكن الكاتبة تعيد تشكيل المعانى ، وتتصيد الألفاظ ، وتعلن الاحتجاج .. والتساؤل هنا ...

هل يقصد الحديث الشريف بلفظ " الشيطان " المرأة المؤمنة أم " الغواية " التى تأتى عن طريق المرأة التى أباحت لنفسها إثارة الغرائز ، وجعل الرجال يلهثون وراءها لإشاعة الفاحشة فى المجتمع ...

مصطلح الجاهلية ...

ومن المصطلحات التى تثيرها صاحبة الكتاب ، وبطريقة الخلط المقصود لتشويه المعانى الإسلامية مصطلح " الجاهلية " فتقول :-

"ومن الطريف أن الجماعات الإسلامية إمعانا منها فى فرض جو إرهابى يحل لها تحقير نساء العصر الحديث ، تلجأ إلى تشبيههن بنساء العصر الجاهلى ، طالما أن صورة الجاهلية ترتبط فى ذهن الناس بكل ماهو مذموم ... ملعون ... مما يسهل مهمة التشكيك فى نتائج الحضارة الحديثة ، ويدير ظهر النساء إلى الحائط ...

" ولكن ماوجه الشبه بيننا نحن نساء القرن العشرين وبين من يسمين بالجاهليات ، فنحن لانرتدى ملابسهن ، ولانفكر بطريقتهن ولا نعيش وضعهن الإجتماعى وعلاقاتهن بالجنس الآخر من الرجال ، والفرق بيننا وبينهن ليس رقم الأربعة عشر قرنا فى حسابه العددى ، بل ميراث حضارة وتجارب وخبرات وأفكار التطور التاريخى عبر هذا الزمن الطويل ..."

ووعى المرأة المعاصرة الاجتماعى - حتى المرأة الأمية التى لم تتعلم القراءة والكتابة ولم تمارس عملا وظيفيا - لايمكن قياسه بوعى امرأة القرن التاسع عشر ... فما بالكم بوعى أربعة عشر قرنا سابقة ... ؟

" إن تشبيه " الجاهلية " هو سوط تسلطه الجماعات الإسلامية على ظهور النساء المتعبات لتوجيه طاقاتهن وفق النسق الأيديولوجى لهم ، وتستخدمهن به فى أحداث المزيد من التوتر فى معركتهم

الآن .." (١)

ومن خلال هذا النص ... تبدأ الكاتبة بنـفى التراث ، لتتخـــطى أو تتجاهل " القرآن والسنة " ولتعطى للمعنى أيدلوجية إنسانية تبتعد فى جوهرها عن النسق الخاص الذى يمثل ويبلور فى تركيبه الشمولى الوعى الإسلامى ...

فالجاهلية التى ترتبط فى ذهن الكاتبة ، هى جاهلية الفهم لهذا المصطلح ، ولهذا فهى تربطه بالرقم " الأربعة عشر قرنا " وإن وعى " المرأة " الأمية التى لم تتعلم القراءة والكتابة ولم تمارس عملا وظيفيا ... لايمكن قياسه بوعى إمرأة القرن التاسع عشر ... فما بالكم بوعى أربعة عشر قرونا سابقة ... ؟ ...

ومن هنا ... فالقيم والعادات والتقاليد الإسلامية لاتمثل - فى حضارة القرن العشرين - إلا ظاهرة التخلف الذى محته القرون الطويلة ، وبهذا تصبح المصطلحات الإسلامية على هامش الفكر البشرى على هذه الأرض - ويصبح التعامل معها لونا من التعصب والعنصرية والجمود ...

فالقوى " الرجعية " التى تحاول التشبث بالقيم العليا والسلوكيات " الإسلامية " يجب أن تجابه بحسم من خلال القوى الثورية النشطة ، والتى تحاول دراسة هذا الإظلام " الأيدولوجى " وتحليل أسبابه ، وبلورة نتائجه السلبية علـى المــــاضى والحــــاضر و المستقبل ...

١- ص ٣٧ .

ومصطلح " الجاهلية " ... من المصطلحات التى خيمت عليها خيوط عنكبوتية لزجة ، شلت أو كادت ، حركة الوعى والأصالة الذاتية للعقل المسلـــم ، حتى أضحى هذا " المصطلح " يثير عدة تساؤلات من الفرد العادى ، بل يثير استنكارا غريبا عندما تلتقطه أذنه فيردد قائلا : " إننا لانعيش فى العصر " الجاهلى " ، كأن العصر الجاهلى يعنى فقط عصر ماقبل الإسلام ... أى عصر الشرك والأوثان ...

هذا الخلط الغريب فى المفاهيم ، وإستغلال هذا الخلط فى رسم صورة مشوهة ... لكل دعوة إشراق تتألق من هنا ومن هناك ...

لكل دعوة تهدف إلى تمزيق كل أنسجة الظلام الذى يحيط بالعقل المسلم الذى يحاط دائما بشبكة رهيبة من الأكاذيب والتصورات والتى تعمل دائما على حجب الحقائق والأهداف الإسلامية عن الساحة ...

فالجاهلية ... ليست مرادفة للصورة الساذجة البسيطة للشرك ، أو التخلف الأمى ، أو أى ميراث حضارى أو تطور فى الوعى ، بل أن " الجاهلية " مصطلح يطلق على كل إتجاه مادى يتجاوز حد الطغيان ، أو مستوى هابط للأخلاق أو السلوك ...

وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم - لأبى ذر رضى الله عنه " إنك أمرؤ فيك جاهلية حين قال لبلال رضى الله عنه يابن السوداء ولم يكن قصد - الرسول صلى الله عليه وسلم - فى هذه التسمية سوى جاهلية السلوك لاجاهلية العقيدة ...

جاهلية الإنحراف عن السلوك الإسلامى ... الذى وضع الخطوط العريضة للتصور السلوكى بين الناس كما أراده الله فى الأرض لبنى البشر ، وهذا التصور لايفرق بين إنسان وإنسان فى اللون أو الجنس " إنما المؤمنون إخوة "...(١)

الجاهلية - والمرأة ...

الجاهلية إذن - هى النقيض للسلوك الإسلامى ... والخطأ الأساسى الذى تقع فيه الكاتبة ، هو اعتبار تلك السلوكيات والقيم التى قررها الحق سبحانه وتعالى ، مجرد مرحلة تاريخية تنتهى ظروفها وملابساتها بالتكوين الحضارى للإنسان وبالتطور العقلى الذى امتد أربعة عشر قرنا من الزمان ...

وبهذا المقياس الخاطئ ... تردد مقولتها ، وتعطى لتصوراتها صبغة الاتهام لهذا المصطلح الإسلامى وتدين به الجماعات الإسلامية عندما يشخصون حالة المجتمع المعاصر والذى يبتعد تماما فى كل أنشطته " السياسية والاقتصادية والتشريعية والسلوكية عن هذا الـدين .

والجاهلية كما عالجها " القرآن الكريم " ... بالنسبة للمرأة ورد فى سورة الأحزاب بقوله ...

" وقرن فى بيوتكن ، ولاتبرجن تبرج الجاهلية الأولى " ...والآية صريحة فى إلزام المرأة البيت وعدم خروجها منه إلا للضرورة ... والضروريات قد تتسع وفقا للظروف التى تقتضيها الحياة ... فالمرأة

١- جزء من الآية ١٠ من سورة الحجرات .

فى عرف الإسلام ليست آله أو حيوانا اليفا يقتنيه الرجل لإفراغ طاقته الجنسية فقط ، وإلا لما حرص الإسلام كل الحرص على تعليمها وتوفير الضمانات المعيشية والنفسية والروحية لتنمية شخصيتها وتقوية كيانها ...

والإسلام لايمنع المرأة من الخروج ، ومن العمل عند الضرورة كل مافى الأمر أنه يلفت نظرها إلى مهمتها الأساسية ومسئوليتها الكبرى العظيمة فى خلق الأجيال ... وذلك تشريف لها كأم وزوجة وإنسانة لاتعبيد لها ... وتلك حقيقة ثابتة تفرض نفسها فوق كل ادعاءات مزورى الحقائق ... لذلك يقول الأستاذ/ محمد قطب فى مجال عمل المرأة ..

أما فى الأعمال النسوية الخالصة : التدريس والتمريض والتطبيب للنساء ... فيهذا لايجيز العمل فقط ، بل يفرضه فرضا كما يفرض التجنيد العسكرى على الرجال ..."

أما العلم فهو فريضة ... وليس لهذه الفريضة حدود ... (١)

ووفقا لهذه القاعدة الإسلامية ، زود الإسلام المرأة بمجموعة من القيم التى ترسم لها السلوك الإسلامى اللطيف ، فقال الحق سبحانه وتعالى :-

" وقرن فى بيوتكن ولاتبرجن تبرج الجاهلية الأولى " ... (٢)

١- معركة التقاليد ـ محمد قطب ـ ص ١٤٧ .

٢- جزء من الآية ٣٣ من سورة الأحزاب .

فما هو " التبرج " ؟ ... وما هو " السلوك " الجاهلى الذى نهى الله عـــنه :-

جاء فى تفسير إبن كثير :-

قال مجاهد : كانت المرأة تخرج بين يدى الرجال فذلك تبرج الجاهلية .

وقال قتادة : وكانت لهن مشية وتكسير وتغنج فنهى الله تعالى عن ذلك ...

وقال مقاتل بن حيان : والتبرج أنها تلقى الخمار على رأسها ولاتشده فيوارى قلائدها وقرطها وعنقها ويبدو ذلك كله منها . وذلك التبرج .

ثم تأتى التوجيهات الأخرى والتى سبقت آية الإقرار فى البيوت لتكتمل صورة المرأة المسلمة

" فلا تخضعن بالقول ، فيطمع الذى فى قلبه مرض ، وقلن قولا معروفا " (١) فنهى المرأة عن القول اللين الناعم الذى يثير الغرائز والطمع فى النفوس ، لذلك يجب أن يكون حديث المرأة للرجل الغريب عنها ، حديث الأدب والقول المعتدل البعيد عن الظنون والريب ...

تلك هى الصورة الدقيقة للسلوك الجاهلى فى عصر ماقبل الإسلام ، وتلك هى التوجيهات الأخلاقية للتعامل مع الرجل فى المجتمع الإيمانى ، ونحن مع الكاتبة فى قولها " فنحن لانرتدى ملابسهن ، ولانفكر بطريقتهن " ...

١- جزء من الآية ٣٢ من سورة الأحزاب .

فأى ملابس ترتديها النساء اليوم ؟... وبأى تفكير يعشن ؟ ، وبأى سلوك يتصرفن ؟ ... لاشك أنها نقلة ضخمة واسعة تجاوزت مفاهيم المصطلح ... وتجاوزت حدوده ومقاييسه ... فالمرأة الآن ... ترتدى كما يقول الكاتب الإسلامى محمد قطب ... " فستانا عارى الصدر ... عارى الإبطين " جابونيز " وتسير فى الطريق أو تجلس فى السيارة أو تجلس فى " الكازينو " وسط الرجال والشبان ... ثم تقول إنها تمارس " حريتها " فى انتقاء ما تريد من الملابس .

إنها فتاه متحررة ، تحقق كيانها المستقل . مالكم بها أيها الناس ؟ من أنتم بالنسبة لها ؟... هل تحجرون على حرية المرأة ؟ هل تلغون كيانها المستقل ؟ هل تستعبدونها ؟ هل تجعلونها تابعة للرجل تلبس مايفرضه عليها ولاتختار لنفسها ماتريد ؟ ...

" فلنكن صرحاء ... إنها لاتمارس " التحرر " وإنما تمارس العبودية الكاملة لدفعة الحيوان " ... (١)

أليست هذه " جاهلية " جديدة تفوق " جاهلية " ماقبل الإسلام ، إن المرأة لاتتحضر بأن تلهب الغرائز ، بل إن التحضر هو مجموعة من القيم السلوكية والأخلاقية التى ترفع الإنسان عن مستوى البهائم ...

إذن فالجاهلية ... أيتها الكاتبة ... ليست سوطا تسلطه الجماعات الإسلامية على المرأة ، بل هو إعادة للوعى الإسلامى الذى غابت عنه حقائق الدين ، ومفاهيمه للسلوكيات الأخلاقية ... فما للسلوك والتقدم المادى ؟ وما للأخلاق والتطور العلمى ..؟ إن الإسلام

١- نفس المصدر السابق ص ١١٠ .

ليس ضد التقدم المادى او العلمى ، وليس ضد حرية " المرأة " كما منحها لها الخالق ... قبل أن يمنحها لها منطق العرى والإباحة ..

الفصل الرابع

انزلى إلى سوق العمل ....

ولكن بشروط

تحت هذا العنوان ... تثير الكاتبة نفس القضية ... قضية التشريعات التى حددها الإسلام للمرأة ...

والخطوط التى ترسمها الكاتبة لقلب الحقائق ، وإثارة التناقض توضح لنا معنى " الحرية " التى تضرب على أوتارها ، فهى " الإباحة " المطلقة ، والمساواة " الغبية " والجهل المطلق لطبيعة المشكلة .

فالحياة إذا لم يضبطها " قانون " تتحول إلى فوضى ، والمجتمع إذا لم يتحل بالقيم ، يتحول إلى غابة ، والطبع إذا لم تشذ به السلوكيات الرفيعة ، يتحول إلى همجية مطلقة ...

" المرأة ..... والنسق الكونى "

والإسلام كدين يتعامل مع الإنسان كحقيقة واقعة ، لامع تصورات عقلية خيالية مجردة ، ومن ثم فإن مايضعه من سلوكيات وتشريعات ، تحمل طابع الواقعية التى تتفق مع الحقائق الإنسانية ، والكينونة الخاصة التى تتمثل فى اللحم والدم والأعصاب ، وتتفق وطبيعة الإنسان ذات الغرائز والنوازع والأشواق ... وبمعنى آخر ... إنه يلتقى بالفطرة إلتقاء كاملا ... الفطرة المزدوجة التى تنطق بإتجاهات متعددة " الروح والجسد والنفس " لتلتقى هذه الخطوط المتقابلة فى كيانها الموحد ، فيرسم لها منهجا مزدوجا موحد الإتجاه " فطرة الله التى فطر الناس عليها ، لاتبديل لخلق الله ، ذلك الدين

القيم ولكن اكثر الناس لايعلمون " ... (١) وتلك الفطرة ، تخضع كغيرها لنواميس كونية ثابتة ، كعملية هندسية معمارية ، متسقة الخطوط ، موحدة الهدف ...

فبناء الكون كله يخضع لقانون الزوجية ، فالذرة مؤلفة من زوج من الكهرباء موجب وسالب ، والاجرام السماوية تتكون من نجم وكوكب ، والكائنات الحية ، من ذكر وأنثى ، وقد قرر القرآن تلك الحقيقة الكونية بقوله (ومن كل شئ خلقنا زوجين) ...

من هذا المنطلق الكونى ، تتحدد التصورات الحركية للإنسان ، وتنسق فى تواكبها مع هذا النسق الدقيق الشامل الذى وصفه الخالق سبحانه وتعالى ، والمرأة تعتبر جزءا من هذا النسق ، جزءا حيويا وضروريا بطبيعتها المنفردة بخواصها " البيولوجية والنفيسة العقلية " ... كائن مزود لأداء رسالة معينة ، هدف خاص ، عالم له خصائصه ودوافعه ومبرراته فى الوجود ...

وهذه الرسالة ، ليست استبعادا لها أو احتقارا لشأنها ، وإنما هى ضرورية لاستمرارية الحياة وإلا لم يكن هناك داع لإيجاد هذه الاختلافات البيولوجية التى تميزها عن الرجل والتى تميز الرجل عنها وهذه الاختلافات تجعل كلا منهما فى حاجة إلى الآخر ، ينجذب إليه ، يتعانق معه فى ألفه ومودة ، ليس بدافع الغريزة الجنسية وحدها ، بل بجماع الروح والنفس التى ترتوى وتسكن عند الجانب الآخر " هن لباس

١- جزء من الآية ٣٠ من سورة الروم .

لكم ، وأنتم لباس لهن " ... (١)

فإذا كانت تلك هى العلاقة بين الرجل والمرأة ، علاقة السكن والمودة والالتصاق ، فإن هذه العلاقة قد استوجبت تنظيما خاصا له قوانينه ونظمه ، واقعا معينا له سلوكه ومعاملاته ، قيما كونية تخاطب الضمير والروح ، منهجا عاما يعمل فى اتساق وفاعلية مع فطرة كل منهما ، الرجل وقدرته الجسمانية التى تتيح للأسرة الحماية الخارجية والنضال من أجل توفير أسباب الرزق ، والمرأة وطبيعتها الرقيقة اللينة والتى هيئت لرعاية أولادها وإسباغ الحنان عليهم وتوجيههم وإعدادهم للقيام بدورهم فى المجتمع ... وهذا العمل ليس سهلا كما نظن فإن أكثر أمراض هذه الحضارة تنشأ من تفكك الأسر وانشغال المرأة عن بيتها ... هذه الحضارة التى قننت للإنسان سلوكيات تتصادم مع الفطرة والسنن الكونية ، فكانت النتيجة دمارا أخلاقيا ونفسيا ، تظهر عوارضه فى الإحصائيات الضخمة للانحرافات الجنسية وإدمان المخدرات ...

فرض الكفاية وفرض العين

وعلى ضوء الفروض التى أوجبها الإسلام ، جعل هناك فرضين ، فرض كفاية وفرض عين ... والفرض العين هو مالايسقط عن الفرد كالعبادة ، فكل إنسان ملزم بأداء واجبات دينه لايسقطها عنه إنسان

١- جزء من الآية ١٨٧ من سورة البقرة .

آخر ، أما فرض الكفاية فهو يخضع لجانب الوظائف العامة التى يتنوع فيها الأفراد ، ويؤدى كل فرد دورا مختلفا عن الآخر فتتكامل أوجه الحياة ، فالمهندس بدراسته يكفى الآخرين عن هذه الدراسة ، كذلك الطبيب بدراسته للطب ، والمزارع الذى يفلح أرضه ...

والبيت بالنسبة للمرأة فرض " عين " لاتكفيها فيه امرأة أخرى ، مهما كانت هذه المرأة خادمة أو مربية ، أما العمل فهو فرض " الكفاية " الذى يسقط عنها طالما هى فى عصمة زوج يكفل لها الرعاية والحياة الكريمة ...

وخروج المرأة إلى العمل دون ضرورة تدفعها إلى ذلك ، ليس عدلا أو تكريما كما يروج أصحاب " تحرير المرأة " ، وإنما إضافة مرهقة لحياتها المكدودة ، فالرجل بطبيعته يأنف من أعمال البيت ورعاية الأولاد ولاتستطيع المرأة إجبارها بما لايتفق وهذه الطبيعة .

ووجود المرأة فى بيتها من أهم الحقوق التى أعطاها الإسلام للمرأة ، فهو " حق " وليس " سجنا " وهذا الحق أصبح حلم المرأة الغربية بعد أن أدركت الحقيقة الغائبة عنها فى زحمة الغرور النسائى.

المرأة الغربية ... والعودة للبيت :

فى مقال نشر فى مجلة صباح الخير للكاتبة إجلال الجمل تحت عنوان " وبعض الإنجليزيات يؤيدن العودة إلى البيت ، تقول الكاتبة : " فى إنجلترا مناقشة مثيرة ، بين سيدات تركن عملهن وفضلن العودة إلى البيت ، وهن يدافعن عن هذا ... ثم تحكى قصة " اليزابيث براين " التى تخلت عن عملها وعادت إلى البيت والتى تقول :

" لا أحد يصدق أنى - بالفعل - اخترت البقاء بجوار طفلى وفضلت هذا على الجمع بين العمل والبيت ، وربما أكون موضة قديمة . ولكن يوما ما ، سيعتبر الآخرون أن قرارى بتكريس ذكائى وحيوتى وقدرتى على الابتكار ، من أجل طفلى ، أمر طيب ". وتستطرد اليزابيث براين معللة ضرورة وجودها فى البيت فى أبلغ تعبير فتقول : " ليس هناك مدرسة فى العالم فى حاجة إلى ، مثل حاجة أطفالى إلى " ...

سبحان الله ، أى نداء للفطرة أقوى من هذا النطق ، وأى حقيقة ناصعة أكثر من هذا الإعلان يادعاة تحرير المرأة ... فالأمومة واقع لايمكن أن نتغاضى عنه ياصاحبة كتاب " خلف الحجاب " وعالم المرأة له قوانينه وخواصه التى لانستطيع أبدا مهما حاولنا من تزييف أن نتجاهله ... فلتستمع صاحبة الكتاب إلى هذه العبارة الأخرى من اليزابيث براين " الإنجليزية " لا المسلمة " وليس هناك مكان فى العالم أفضل من البقاء فى المنزل مع أطفالك "...

وتحكى " برينس فيليب " قصة تخليها عن عملها والتفرغ لبيتها فتقول : " كنت أعمل مع رجل ، يمكن وصفه أنه متعصب لجنسه ، وكانت أحب الأقوال إلى نفسه : " إن مكان المرأة الطبيعى هو البيت " يقولها وهو يبتسم فى وجهى ، ثم يضيف ، أننى أجيد عملى ، لكن سعادة المرأة الحقيقية تأتى بعد الزواج والإنجاب ".

وبالفعل تركت " برينس فيليب " العمل وتزوجت لتصبح أما لتقول لنا " وبعد مرور ثلاث سنوات على هذه الحال وصلت الأمور إلى

وضع متوازن مريح ... واخيرا عرفت كيف أنظم أعمال المنزل ، لقد أصبح منزلنا مفرحا سعيدا " ثم تختتم أقوالها بهذه الحقيقة .

" يجب أن أقر أنني بدأت الآن أستمتع بالبقاء في البيت "...

أما نورما بادج فتنصح عن حقيقة غابت عن مشجعي عمل المرأة فتقول " إن العمل لايحل مشاكل كل الناس فالعمل له ضرائب ، وأولها الاستعانة بشغالة للمنزل ، وتحمل مصاريفها ومصاريف جنيسة الأطفال ، ومصاريف الغذاء الخارجي ، يجب أولا أن تقرر المرأة إذا ما كانت تريد العمل فعلا. أم أنها تريد مجرد التغيير "...

وتضيف " جوليت " بعدا آخر إلى المشكلة فتقول :

" لقد ربيت أطفالي وأعتنيت بأمي المريضة والآن وبعد مرور عشر سنوات من الانقطاع عن العمل أريد العودة فليس لي مورد خاص ، ولذلك سأذهب إلى أحد مراكز العمل لأعد نفسي مرة أخرى " ...

وهذا البعد الآخر ، يتيح لنا وقفة ونحن نضع خطا عريضا على جملة " أريد العودة فليس لي مورد خاص " إذن فهي الضرورة التي أجبرتها على هذه الرغبة ، وهذا البعد الاحتياطي ، لم يقف الإسلام في وجهه ، بل أباحه ولم ينكره أحد من رموز الفكر الإسلامي الذي تهاجمه الكاتبة بضراوة ...فالبيت هو الأساس ، وهو القاعدة ، والخروج منه هو الاستثناء الذي تبيحه الضرورة " إن خروج المرأة لتعمل كارثة قد تبيحها الضرورة " (١) وهذا الرأي لم يأت به الإسلام

١- سيد قطب السلام العالمي والإسلام ص٥٤ .

من فراغ ، بل هو مطابق للفطرة ، الفطرة التى تنطق بها المرأة سواء فى إنجلترا أو فى الهند ... المسلمة أو البوذية . لأن الفطرة ثابتة لاتتغير " فطرة الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله " ...

خصام مع الفطرة ...

والكاتبة عندما تهاجم هذه الحقائق ، لاتثير فى النفس نوعا من الإشفاق بقدر ماتثير فى النفس قدرا كبيرا من التفزز ، فهى لاتتصادم مع قضية خلاف حول رأى بشرى ، بل هى تريد تغيير خلق الله ، وتنظيم نواميس كونية ، بقدر من الغباء الذى تكشفه أى امرأة " بدائية " لم تتلق أى قدر من الوعى أو الدين ...

الهجوم على رموز الفكر الإسلامى ...

وفى معرض هذا الغباء تعيد الكاتبة أقوال رموز الفكر الإسلامى حول قضية عمل " المرأة " والضوابط التى تحكمها وتعلق عليها فتقول :

" إن القاعدة الصلبة التى يحاول الدعاة الإسلاميون التأكيد عليها هى تحريم عمل النساء وأن " البيت هو بمثابة المرأة التى تجد فيها نفسها على حقيقتها كما أرادها الله تعالى - غير مشوهة ولامنحرفة " تلك القاعدة الصلبة ليست هى النهاية ، ذلك أن كل النصوص بعد تحريمها لعمل المرأة تفتح ثغرة واضحة تشير إلى إمكانية عمل النساء مع إحاطة تلك الثغرة بشروط ، فسيد قطب يقول : إن

خروج المرأة لتعمل كارثة قد تبيحها الضرورة " ...

" والدكتور محمد البوطى يقول :

" لاتنزل المرأة إلى ميدان العمل من أجل الرزق إلا فى أضيق الظروف والحالات الضرورية "

" وحسن البنا يحرم عليها " حقوق الانتخاب والاشتغال بالمحاماة "

والفقهاء يجمعون على عدم توليها المناصب الهامة " ...

" وقد يهلل بعض الإصلاحيين ويتخذ من تلك النصوص دليلا على تسامح أيديولوجيا الجماعات الإسلامية وأنها لم تسد الطريق تماما أمام عمل النساء ، ونحن نقول لهم :

" نعم إنهم يسمحون بعمل المرأة ، حتى هؤلاء المتشددين من أمثال أبو الأعلى المودودى وإبن تيمية ، وحتى لدى أكثر الجماعات تشددا من فريق الجهاد وغيره " ...

" نعم يسمحون بعمل المرأة ولكن بعد ماذا ..؟

" بعد تجريدها من الحقوق السياسية كحق الإنتخاب والترشيح وحقوق الترقى حتى المناصب القيادية " ...

" وبعد تجريدها من الأسلحة التى يمكن أن تدافع بها عن شروط أفضل للعمل كحق الإضراب والتظاهر ، فإذا كانوا يحظرون تلك الحقوق على الرجال ، فما بال موقف النساء إذن ... ؟

" إنهم يصفون النساء المشتركات فى أى تظاهر أو إضراب بالسافرات القاصرات كما رأينا من قبل " ... والكاتبة من خلال هذه

النصوص لاتخفى استنكارها وتجريمها للفكر الإسلامى الذى يضع " المرأة " فى أشرف مكان أراده الله لها ، والذى هو البيت ... البيت الذى تتمناه المرأة الغربية والتى تصرخ قائلة كما رأينا بأنه " ليس مكان فى العالم أفضل من البقاء فى المنزل مع أطفالك "...

ومن المضحك أن الكاتبة تتحدث عن المشكلة وكأنها تتحدث عن التفرقة العنصرية فى أمريكا أو جنوب أفريقيا ، فتتحدث عن حق الانتخاب والترشيح ، وحق الإضراب والتظاهر ، ونسيت الكاتبة أن الرجل ذاته فى الشرق لم يحصل بعد على هذه الحقوق ، وأن السياسة لعبة لم تعد بعد فى يد الشعوب ، وإنما هى خيوط رفيعة صلبة تحركها الأنظمة بما يتفق ومخططاتها.

المرأة ونوعية العمل ...

ثم تهاجم الكاتبة نوعية العمل بالنسبة للمرأة ، فتدين هذه النوعية ، وتشجبها من منطق الظلم الفظيع الذى يصبه الفكر الإسلامى عليها فتقول : " ثم يسمحون بعمل المرأة بعد تحديد وظائف بعينها للنساء ، كطب النساء والتمريض والتدريس والحياكة والتطريز ، ولايخفى على أحد أن تلك الأعمال ذات طابع خدمى " ...

الطبيبة ... وظيفة ذات طابع خدمى ، وأستاذة الجامعة ... وظيفة ذات طابع خدمى ... هكذا ...

ثم تتابع سردها للفكر الإسلامى متلاعبة بالألفاظ ، والصور التى ترسمها " يقول إبراهيم النعمة فى كتابه العمل والعمال فى

الفكر الإسلامى : ومع ذلك فإن من حق المرأة إذا أرادت العمل أن تعمل ، ولكن فى عمل يتناسب مع ظروفها وطبيعتها ، مثل الصناعات ولها أن تعمل خارج بيتها وإن كانت حاجتها للعمل ماسة خاصة إذا كانت تعين صبية صغارا ليس لهم من ينفق عليهم ...

" فشرط العمل فى الفكر الإسلامى أن تكون إمرأة تحت خط الفقر ، لاتملك ما تأكله هى ومن تعولهم ... لاتملك ماتغطى به جسدها ، لاتملك أن تفكر فى شئ سوى الحصول على لقمة العيش ، أو الحد الأدنى من لقمة العيش ... عندهذه الدرجة من الحاجة الماسة التى لاتسمح لها بأن تفكر أو تختار شروطا أفضل للعمل والحياة ... عند هذه الدرجة التى لاتجعلها تشعر حتى بآدميتها ، يمكن فقط أن يسمح الفكر الإسلامى للمرأة أن تنزل ميدان العمل : ذليلة ... ضعيفة ... مذعورة ... تتلفت حول نفسها ... تنظر إلى ثيابها الرثة فتشدها حتى يمكن أن تغطى أعضاءها الموصومة بالحرمة فى نظر السادة الإسلاميين ...

" وهكذا تنزل المرأة ميدان العمل نعم " ...

ولكن ليس فى كل الميادين ، فليس مسموحا لها أن تخترق الميادين ذات الشأن الاجتماعى ، ولكن أن تعمل فى المجالات التى يمكن هذا المجتمع الفاضل من تكثيف درجة استغلالها كيد عاملة تقبل سعرا أقل وساعات عمل أكبر وظروفا أسوأ "...

وأيديولوجيه الجماعات الإسلامية التى قننت قاعدة للاستغلال الأساسية فى خروج المرأة للعمل عند الحاجة أو الضرورة الماسة هى

نفسها الأيديولوجية التى تقدم فكرة تخصيص مصانع للعمالة النسائية أو ورديات خاصة بهن " ستكون فى الغالب هى الورديات النهارية " أو تخصيص عنابر - داخل نفس المصنع - للنساء فقط ".

" وكان من آخر تقاليع الجماعات الإسلامية إنشاء مستشفى لعلاج المسلمات فقط ومحظور دخولها على الرجل الطبيب أو الممرض الرجل ، أو حتـــى الطبيبة إذا كانت بغير نقاب أو حجاب "...

من خلال النص الأخير نشعر بالمبالغة المضحكة فى تصويرها لحقيقة الواقع الإسلامى ، فليس هناك مانع على الإطلاق فى قيام " الرجل الطبيب " بتوليد " المرأة " المسلمة إذا كانت الولادة متعثرة ، ولكن إذا كانت هناك طبيبة فى نفس التخصص ونفس الكفاءة يكون أفضل ، فلايعقل أبدا تعريض نفس للموت مهما كانت الظروف ، ولم يقل هذا أحد من المشتغلين فى الحقل الإسلامى ياصاحبة الكتاب ...

أما النصوص السابقة الخاصة بنوعية العمل فإننا سوف نطرح هذه المشكلة لامن خلال المنطق الإسلامى الذى تصمه الكاتبة بالتخلف والرجعية ، وإنما من منطلق الواقعية العقلية ، ومن تصورات ووقائع مجتمع آخر يتربع على قمة الحضارة - الحضارة الغربية ...

المرأة الغربية - ومشكلة نوعية العمل

ففى مقاله للكاتبة الصحفية " ماجدة الجندى " بعنوان " تحرير المرأة ليس معناه مشاركة الرجل لها فى الغسيل " وفى أعلى صفحة المقال خبر ظريف يقول " زعيمة نسائية يضربها زوجها علقة "...

والمقال يتحدث عن ظلم المجتمع الإنجليزى " للمرأة " العاملة واحتكار طاقتها بأقل أجر ، وتسخيرها فى أعمال معينة ، إنها صورة للمجتمع الذى يجلس على قمة الحضارة التى تبشر بها صاحبة " خلف الحجاب " بل ان هذا المقال يفضح نوعية الفكر وجذوره التى تدين به صاحبة " خلف الحجاب " ، ونوعية الرؤية الغربية للمشكلة التى تسقطها الكاتبة على مجتمعنا الإسلامى ، فالصورة واضحة - وضوحا غريبا - يجعلنا نعتقد اعتقادا جازما بأن هذا الكتاب توليفة غربية - وخلط مريب - يجعلنا على يقين من عدم مشروعية هذا الفكر وهذا الواقع الذى تعرضه صاحبة " خلف الحجاب "...

والمقال عن كتاب اسمه " دولة النساء " للكاتبة " جوليت ميشيل ".

وتستعرض صاحبة المقال أفكار الكاتبة عن الظلم الذى تعانى منه المرأة الغربية فتقول :

إن النساء يعانين من اضطهاد مزدوج أو مركب فهن من ناحية يشكلن جزءا من الطبقات العاملة التى تسعى لتحسين الأوضاع الإقتصادية ، ومن ناحية أخرى هن وحدهن يمثلن طبقة مسحوقة من الرجل والزوج "...

وتستطرد الكاتبة أو صاحبة المقال فى تصويرها المشكلة فتـــقول:

" إنها مهما راحت تتحدث عن الآلام والمعاناة والظلم و ... و ... وكل ماتعانى منه المرأة فإن كل ذلك سوف يبقى شكلا شبه كلامى

لهذا فقد آثرت أن تتعرض لأحوال المرأة الإنجليزية كنموذج تطبيقى لما سبق أن قالته وحددت العناصر الأربعة التى تشكل منها معاناة المرأة وهى : وضعها فى الإنتاج ، والتعليم ، والإنجاب ، ثم حياتها الجنسية ...

" وتتركز نوعية العمل الذى تمارسه المرأة فى السكرتارية والمكاتب والوظائف الصغيرة. ونسبة العاملات إلى العاملين لاتتزايد سنويا ... وهذا موشر خطير غالبية العاملات يمارسن وظائف لاتحتاج لمهارات متخصصة أو نصف متخصصة مثل العمل فى مصانع الملابس"...

وتقول " جوليت " أن ١٢٪ فقط من مجموع عاملات إنجلترا تتقاضى نفس مرتب الرجل الذى يؤدى نفس العمل أما الـ ٨٨٪ فمرتب المرأة أقل من زميلها الرجل "...

" دور المرأة فى المجتمع الإنجليزى العامل دور ثانوى مهما اتسعت رقعة العمل ومهما وضعوا النساء " كواجهات مزينة " فمازالت هناك أعمال للرجل وأخرى للمرأة وطبعا فالأقل أهمية " للفريق الآخر ".

" فى بحث أجرى عام ٦٨ ثبت أن ٦ر٩٠٪ من العمال اليدويين من الرجال و٩٥٪ من العمال غير اليدويين نساء ، ممن يكسبن حوالى ٨٠٠ فرنك فى الشهر أو ١٥ جنيها إسترلينيا ".

" ثبت أن معظم العاملات لايكفيهن الأجر ومن بين كل ٥ نساء هناك واحدة تقوم بعبء أسرة كاملة بينما النسبة فى الرجال هى : بين

كل ٨ رجال عزاب يعـول واحد أسرة " ...

" أجرى أحد أقسام الاجتماع بحثا حول مفهوم المرأة فى أذهان الأسرة الإنجليزية . قالت النتيجة أنها أولا زوجة وأم ثم بعد ذلك أى شئ آخر :

" أثبت نفس البحث أن عمل الزوج هو الأهم فى نظر الزوجة حتى ولو كانت تعمل فى نفس أعمال الزوج .

وتختتم صاحبة المقال هذه الدراسة بقولها :

" إن جوليت ميشيل " صاحبة كتاب " عصر المرأة " واحدة من عشرات الكاتبات فى العالم الآن يعتبرن أن قضية حياتهن هى فضح دور الرجل الأوربى " المتحضر " الذى لايريد أن يقر للمرأة بالمساواة ، وهن يعلن ثورة على كل مايشير للمرأة على أنها مخلوق ، لم يخلق للعمل وإذا عملت ففى عمل أدنى من الرجل ... وبأجر أقل ".

" أليس هذا غريبا ... أن يكون ذلك هو وضـــع المرأة الغربيـة صاحبـة دعوات " تحرير المرأة " والمساواة" و"التحضير " إلى آخر تلك الشعارات التى تنخدع بها المرأة المستغربة ؟ .

وأليس غريبا .. أن تستدعى صاحبة " خلـــف الحجاب " تلك الوقائع الاجتماعية والنفسية الغربية ، لتنقله عشوائيا دون دراسة متفحصة واعيـــة ، وبغـــير إسقاطات مغرضـة أو إدانـة مسبقة ؟...

لتعلم صاحبة الكتاب أن الإسلام لم يأت كى يصب الظلم على رأس المرأة ، وإنما ليضع الحقوق والضوابط التى تجعل الحياة تسير وفقا لنسق العدالة الإجتماعية التى تتيح للمـــرأة الحيـاة بلاعبودية ،

سواء عبودية الرجل أو عبودية التشريعات الجـاهلية التى تخضع أيضا لأهواء الرجل وتسلطه بحكم قدرته المسيطرة على روافد الحياة ، ولو أن الكاتبة مدت عنقها قليلا إلى صفحات الماضى ، لعرفت كيف كان ظلم الرجل للمرأة سواء فى المجتمع العربى القديم أو اليونانى أو الهندى ، ولعرفت أن الإسلام هو الذى جعل " المرأة " مخلوقة جديرة بالحب والتقدير والمساواة ...

وهناك حقيقة قررها محمد إقبال - تقول " هناك درس واحد وعيته من تاريخ الإسلام ، ففى اللحظات الحرجة من تاريخهم كان الإسلام هو الذى أنجى المسلمين ، وليس العكس بالعكس ، اذ ركزتم نظركم اليوم على الإسلام ، وأستلهمتم المبادئ الحية الدائمة الكامنة فيه ، فأنتم لاتكونو ن قد فعلتم أكثر من إعادة تجميع قواكم المبعثرة واستعادة كيانكم المفقود ".

الفصل الخامس

عودة الى المنهج

منهجا الإسقاط والاستقطاب :

من خلال عرض تلك الأفكار وتحليل رؤيتها التى تتعامل مع النصوص والرموز الإسلامية ، نجد أننا إزاء نموذج يعمل وفقا لمنهجى " الإسقاط والاستقطاب " وهذه المناهج تخضع لنوع الانطباعات التى تركتها لديه ثقافة معينة وفكر معين.. وهذه البنية المركبة تعنى باستبدال الظاهرة المدروسه ، بظاهرة أخرى مشابهة لها فى الشكل مختلفة فـى المـضمون ، فالظاهرة قد يكون مضمونها وظروفها مختلفة ، ولكن فى ذهن الباحث وفقا للبناء النظرى الذى يكون موجودا ومرتبا بانتقاداته وتصوراته وتحليلاته فيعمل على إسقاطه على الظاهرة الموجودة بالفعل . . وهكذا يصدر المنهج الإسقاطي علي الظاهرة أحكاما لا تتفق وواقعها الفعلى ، ويجعل الباحث لا يرى الظاهرة إلا كما هى موجودة فى نفسه كصوره ذهنيه . . .

فاستبداد رجال الدين والملوك بزعم التفويض الالهى ، مجرد صورة ذهنية تكونت فى المخيلة من خلال دراسته للتراث الغربى ، فيقوم الذهن بهذا الإسقاط التاريخى على حدث مشابه كالخلافـة فى تراثه الإسلامى ووفقا لهذه الصورة المماثلة يعمل العقل على تفريغها من مضمونها ودوافعها الذاتية لتتفق ومنهجه دون الإلتفات إلى اختلاف البيئات والثقافات والعقائد . . . ويرجع هذا المنهج إلى التبعية الثقافية للبيئة الأوربية كتاريخ وعقائد وتصور ، وكأن الغرب

هو المرشد الذي نزن به به درجة تحضرنا ، وان كل حضارة يجب أن تقاس على هذا المنوال ، وخطأ هذا المنهج هو عجزه عن تفسير الحركة الصحبة للعقل الحضارى المرتبط بأمة معينة لها قيمها وتصوراتها وحركتها الذاتية . . .

ومن خلال هذا المنهج الإسقاطى يلجأ الباحث إلى استقطاب الحدث التاريخى أو النص الدينى الذى يعطى له مظهرا جديدا لتدعيم فكرته والتى تخضع لصورته الذهنية ، هذا الحدث أو النص يعطى له قوة الباحث أو المقوى الذى يحاول من خلاله ربط الفكرة بالصورة ، وربط الحدث والنص بالتحليل والتفسير للعلل الموجودة له ليعمل علي تشكيله كى يؤدى وظيفته المعرفية . .

إن النظر إلى تراث أمتنا التاريخى والعقائدى بهذه الصورة وبهذه المناهج ، لا يجعلنا فقط فى موقف التبعية المطلقة والأسر للفكر الغربي ، بل يجعلنا نفقد أعظم خصائصنا الذاتية والحضارية ، ونغدو فى وضع التصفية المعنوية لوجودنا التاريخى ، فهذه التبعية لا تتوقف عند فقدان حضارتنا الإسلامية ، بل تعمل على تغيير السلوك والمظهر وطريقة التفكير ، بمعني إيجاد إنسان آخر ، نسخة أخرى من الانجلو سكسونيين .

إننا نستطيع أن نتحرر . . لا من عقائدنا وتاريخنا وذاتيتنا الإسلامية . . ولكن من التخلف والبؤس والجمود والتبعية . .

بقراءة جديدة للتراث بعيدا عن هذه المناهج التي لا تزال مؤثرة على نخبة كثيفة من العقول المثقفة ، فالتراث قيم حية ، وإطلاق

لطاقات مختزنة فى فى النفس إذا نظرنا إليه كمصدر نستمد منه تألقنا وقدراتنا الحية . .

أن نستعيد تصورنا السياسى والاقتصادى والسلوكى كوحدات بنائية تعمل على إثارة العقل الحضارى للنفس المسلمة والواقع المسلم . هذا ما أردت أن أقوله من خلال هذه التحليلات التى اتبعتها والتى تظهر طبيعة هذا المنهج ، فكتاب "خلف الحجاب " هو كتاب ينظر إلى الإسلام والمرأة بعيون غربيه وفكر استشراقى لا ينتمى للحس الإسلامى أو الواقع الإسلامى ، إنما يستخدم منهجا وتكتيكا صورة طبق الأصل لهذه المناهج التى تعمل على لىّ الحقائق التاريخية والسير بها إلى نتائج سبق أن رددها مستشرقون أخرون ، ولقد سبق أن تناولهم جميعا الأستاذ / العقاد وفنَّد أباطيلهم ، ومع ذلك تتبقى أهمية هذا الكتاب ، إنه نموذج دقيق لهذا المنهج سيىء النية ومبه إسلامية ، لأنه إهانة للإسلام وقيمه ومبادئه . .

فالمرأة فى الغرب وطوال تاريخها لم تتحرر قط من الرجل ، بل إنه لم يكن يفرق بين الحرائر والجوارى ولا يعتبر المرأة أصلا كائنا بشريا يتمتع بأى من الحقوق ويعاملها ككائن أقل من البشر . .

وذلك عكس المرأة المسلمة التى كانت تملك حق التعليم والثقافة والشخصية المستقلة ، هذه الحقائق التاريخية والمبادئ الرفيعة السامية التي أعطاها الإسلام للمرأة ليس لها وجود فى ذهن الكاتبة ، إنما الصورة البغيضة التى رسمها المستشرقون عن المرأة والجوارى والحريم وروجوا لها ، ولاقت هذه الأكاذيب التأييد . والانتفاضه لحقوق المرأة

المفقودة التي عمل الإسلام على الحجر عليها . . وليس هذه النـعرة الكاذبة من قبل مثقفينا إلا من قبيل . . . التقليد عن جهل . .

" وإذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ، ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون " (١) . . . . .

" صدق الله العظيم "

١- سورة البقرة آية (١١) .

١ - الذين يلحدون فى آيات الله - د . كامل سمعان .

٢ - طه حسين - الجريمه والإدانه - جابر رزق .

٣ - الوهم والحقيقة - د . فؤاد ذكريا .

٤ - حوار الحضارات - جارودى .

٥ - الطريق إلى مكة - محمد أسد .

٦ - الصحـوة الإسلامـية بين الجحـود والتطـرف - د. يوسف القرضاوى .

٧ - تفسير ابن كثير .

٨ - معركة التقاليد - محمد قطر .

المجلات والصحف

١ - مجلة الأمة - العدد الخمسون .

٢ - مجلة صباح الخير - العدد ١١١٤ - ١٩ مايوعام ١٩٧٧

٣ - مجلة صباح الخير - العدد ١١١٦ - ٢٦ مايوعام١٩٧٧

صدر للكاتب

الإسلام والعصر الحديث	دار الاعتصام عام ١٩٨٠ م
محاولة لإعادة بناء الذات المسلمة	دار الاعتصام عام ١٩٨٤ م
المسلمين وحضارة الموت	دار الاعتصام عام ١٩٨٥ م
أسلمة العلوم	مجلة الأمة القطريه العدد الثانى والستون ١٩٨٥ م

الفهرس

رقم الإيــــداع: ١٨٦٦/ ٩٠
الترقيم الدولى : ٤-٧١-١٤٣١-٩٧٧

دار العــدالــة
طباعة * نشر * توزيع
دار السلام ـ القاهرة ـ ت:٩٨٤٣٣٢

هذا الكتاب

فيـه حماسه مشكورة ، مـا أحـوج الشباب إليـها اليوم فى عـصر وفدت فيـه إلى مجتمعنا تيارات غربية متدافعة ، تريـد أن تغتال المقومـات النفسـية والمعنـوية والخلقية ، إنها الحرب الفكرية أعـتى أنـواع الحـروب ، تحتـاج - كـى تُغْلب - إلى أكبر الجـهاد .. جهاد النفس المطمئنة إلى قيمـها وتقاليـدها وأصـالتـها والكـاتب - مشـكورا - يهدف إلى كـل ذلك من خلال كشـف النقاب عن معارضات الحجاب .

دار الصحوة للنشر والتوزيع
المنيل : ٧ شارع السراى . ت : ٩٨٧٩٢٤
حدائق حلوان : بجوار عمارات المهندسين . ت : ٦٨٨٠٧١

